جانيت ديلي

حقيبة الجراح



جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت: ٢٥١٤٢٩٥٥ - موبايل: ٠١٢٣٣٧٨٦٤١٨

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
DARLING JENNY

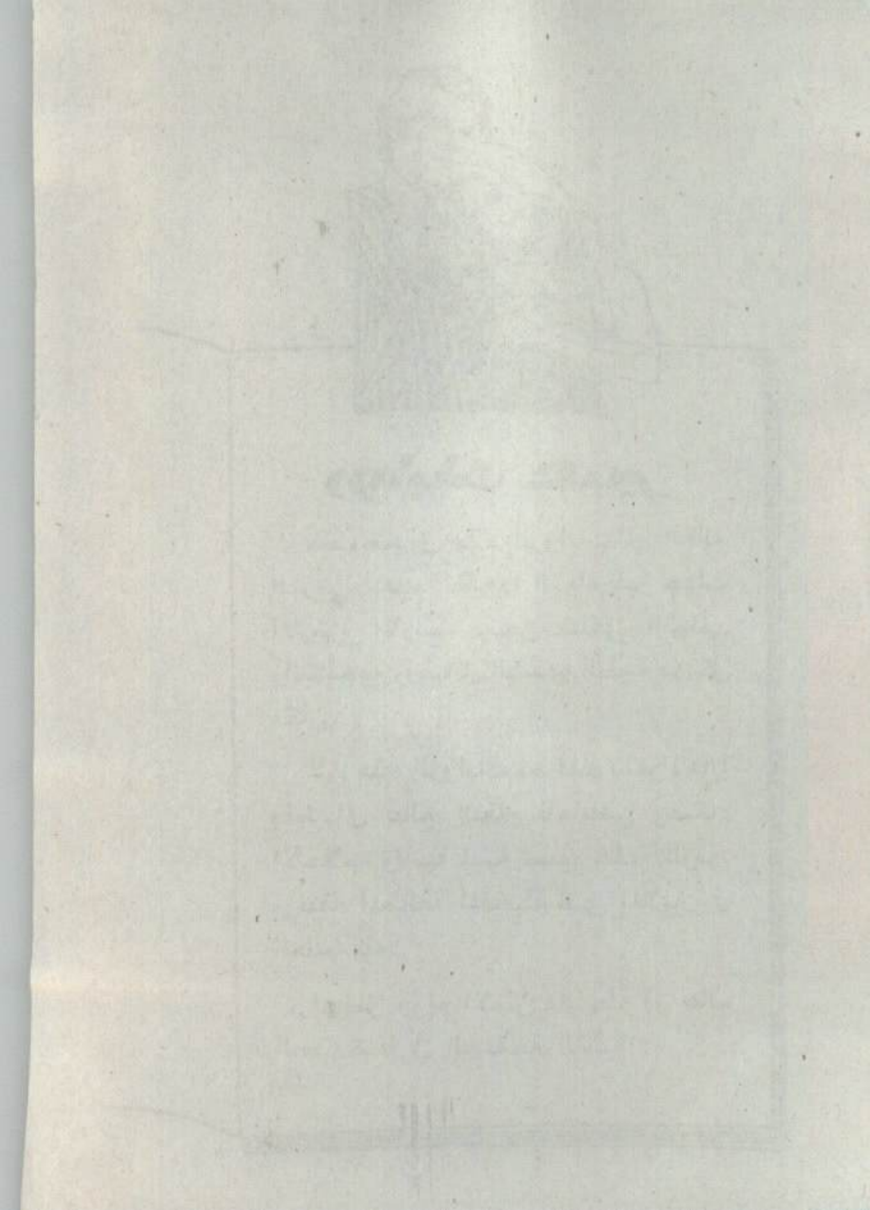


روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!



١ - صدمة بسبب رجل

سمعت جنيفر غلين المضيفة تطلب من الركاب ربط احزمة النجاة، فأطاعت التعليمات بصمت، ابعدت عن عينيها خصلة من شعرها الأحمر الذهبي الطويل، الذي يصل الى اسفل كتفيها، ورفعت رأسها نحو جهاز التهوية في سقف الطائرة. وما ان بدأ الهواء البارد يداعب وجهها، حتى اغمضت عينيها البنيتين الحزينتين وغرقت في تفكير عميق. كان عليها ان تربط شعرها الى اعلى فهكذا يحبه برادلي ويفضله. تنهدت بألم وهزت رأسها، مع انها تريده منسدلاً مما يجعلها تبدو اصغر سناً، بينما بشكله الحالي يشعرها بانها متقدمة في السن، وكأنها ليست في الثانية والعشرين فقط. ومع ذلك، شعرت بأنها ضعيفة جداً لا تقوى على مواجهة الصعاب ومشاكل الحياة.

تخرجت قبل عامين فقط من معهد السكرتارية، وكانت الأولى في صفها، قبلت والديها وودعتهما بحزن... وحماسة، لأنها كانت ذاهبة الى المدينة الكبيرة! امضت ثلاثة اسابيع في مينيابوليس وهي تدخل مكتباً وتخرج من آخر، حاملة بفخر واعتزاز شهاداتها وكتب التوصية التي حصلت عليها من ادارة المعهد، ولكن النتائج كانت دائماً هي اياها، تدخل مكتب المدير لاجراء المقابلة المطلوبة، ثم ترى ملامح الاهتمام والاعجاب تتحول بسرعة الى شك وتردد... واعتذار. انقضى الاسبوع الثاني على هذا النحو، فأصبحت جنيفر قادرة على التكهن مسبقاً بردود الفعل المحتملة. فكل مدير يدرس

اوراقها بتمعن، ثم يتأمل وجهها الناعم وابتسامتها المتوترة، ويهز برأسه كأنه يسألها ان هي حقاً في العشرين من عمرها. . . لأنها تبدو في السادسة عشرة او اقل. وتنتهي المقابلة السريعة بالرفض المهذب، بحجة انه ليست لديها اي خبرة على الاطلاق.

ذهبت في منتصف الاسبوع الثالث لاجراء مقابلة جديدة، وهي تشعر بأن اعصابها سوف تتحطم. خافت من العودة مرة اخرى الى فندق الطلبة، وهي لا تزال بدون وظيفة. كادت ترجو مدير تلك الشركة ان يمنحها فرصة لاثبات قدرتها وجدارتها، كما تفيد بذلك جميع شهاداتها واوراقها. وجه اليها الرجل نظرة ابوية، ثم قال لها بتردد وتحفظ انه موافق على توظيفها كضاربة على الآلة الكاتبة في مؤسسته القانونية. احست جنيفر بانه ندم على قراره لحظة اتخاذه، ولكنها فرحت كثيراً لأنها ستتمكن اخيراً من ابلاغ والديها المتلهفين النبأ السار. بذلت جهوداً مضنية على مدى سنة ونصف السنة، لتبدو موظفة نشيطة وقادرة. كانت تنتقل باستمرار بين مكاتب المسؤولين في تلك الشركة، التي تشغل طبقتين كاملتين في بناية كبيرة. واخيراً، وبعد اشهر من الجلوس وراء الآلات الكاتبة وطبع مئات الاوراق القانونية المملة، سنحت لها فرصة ذهبية. تركت سكرتيرة السيد برادلي ستيفنسن وظيفتها بصورة مفاجئة، فاضطرت الشركة لملء المركز الشاغر بصورة فورية.

اقتربت منها المضيفة وسألتها اذا كانت تريد مجلة او صحيفة، فشكرتها بتهذيب وعادت تتأمل الغيوم الملبدة، التي تغلف الطائرة من كل جانب. . . وتفكر بالشركة. شعرت بانها تتذكر اشياء حدثت امس، وليس قبل ستة اشهر كما هو الواقع. تذكرت بوضوح تام انها احست لحظة دخولها مكتبه، بأن الأمور سوف تتغير. كانت اعتمدت لنفسها تلك التسريحة الجادة، بسبب الاتهامات المتواصلة لها بأنها

تخفي حقيقة عمرها. ارادت ان تبدو اكبر سناً واكثر جدية. . . وخبرة. وتعرف تماماً ماذا تتوقع من برادلي ستيفنسن، الذي يوصف بانه احد المع المحامين الشبان في تلك الولاية. . . واحد اكثر العازبين وسامة وجاذبية في الشركة. شاهدته مرات عدة في المبنى، ولكنها لم تجتمع به مرة واحدة.

رفع نظره عن الاوراق المبعثرة على طاولته، وتطلع نحوها بهدوء تام: كانت تعلو ثغره ابتسامة عريضة، وساحرة للغاية. شعرت بقوة عينيه السوداوين، وهو يقول لها:

ـ اهلاً، يا آنسة غلين. من الواضح جداً ان لديك سجلاً جيداً للغاية. ابلغتني المسؤولة عنك، السيدة جونستون، بأنك شابة ذكية ونشيطة ومخلصة.

وجه اليها بعض الاسئلة المتعلقة بالعمل، واسمعها كلمات اطراء حلوة عن قدرتها وتفانيها في العمل. كانت تعلم طوال الوقت انها ستحصل على هذه الوظيفة، وستصبح السكرتيرة الخاصة لهذا المحامي الجذاب، صاحب الشخصية القوية. وحصلت الفتاة الريفية من مينيسوتا على الوظيفة، التي حسدتها عليها جميع الموظفات في تلك الشركة.

عملت بعناد وتصميم بالغين على ان تجعل من نفسها شخصاً لا يمكن للسيد ستيفنسن الاستغناء عنه. ضحت طوال اشهر بساعات الغداء وبفترات طويلة من اوقات فراغها الاخرى، لتطبع الأوراق الهامة وتنهي المعاملات الضرورية المستعجلة. بذلت الجهد الاضافي في البداية كي تثبت قدرتها وجدارتها، ولكنها تحولت لاحقاً الى هدف آخر. اصبحت تبذل تلك الجهود المضنية، طمعاً في الحصول على ابتسامته الرائعة وكلمات التقدير المقتضبة التي كان يوجهها لها بين الحين والآخر.

وفي وقت متأخر من احدى الامسيات، اصر على دعوتها لتناول العشاء معه. . . على الرغم من احتجاجها وممانعتها. قال لها:

- اطالبك بصفتي مديرك بان ترافقيني الى العشاء.

ثم ضحك واضاف قائلاً:

- اذا كان تناول العشاء مع مديرك يتعارض مع قواعد السلوك الصارمة التي تطبقينها، فما عليك الا التظاهر بأنني سأعطيك بعض التعليمات الادارية اثناء الأكل.

خجلت جنيفر من الاحمرار المتزايد في وجنتيها، ومن خفقان قلبها المتعاظم لاحتمال وجودها معه في جو ودي غير رسمي. وقالت:

- لست مضطراً ابداً لتوجيه مثل هذه الدعوة.

تأملها بجدية وهي تجيبه على كلامه، ثم قال لها:

- اذا كان لديك موعد آخر، فاخبريني الآن، لست راغباً ابداً بالدفاع عن نفسي امام عاشق غيور.

- اوه، ليس لدي اي رفيق او ما شابه ذلك. انا لا اخرج كثيراً من شقتي.

ندمت فوراً على تلك الكلمات التي قالتها له، احست وكأنها توجه اليه دعوة من نوع ما، ابتسمت ونظرت اليه بشيء من المعاتبة، واضافت:

- في اي حال، لم يترك لي العمل الكثير، مجالاً كبيراً للتسلية والترفيه عن النفس.

امضت امسية رائعة في ذلك المطعم الرومنطيقي الجميل مع. . . برادلي. اصر عليها ان تستخدم اسم برادلي اثناء مناداته، كدليل على الصداقة ورفع الشكليات. وجه اليها اسئلة كثيرة تكشف عن اهتمام حقيقي بحياتها العائلية، وشخصيتها، وتاريخها. او صلها تلك الليلة الى شقتها، فشكرته بكلمات مهذبة مختارة على الطعام

الجيد والسهرة الشيقة. وضع يده على ذراعها، وقال لها:

ـ اذا تمتعت حقاً بهذه الأمسية، فاني اريد منك خدمة صغيرة. اسدلي شعرك غداً على كتفيك وتناولي معي طعام الغداء... هذا ان لم يكن لدي موعد آخر.

ثم ضحك وسألها:

ـ انت تعرفين اكثر مني، هل لدي اي موعد ظهر غد؟

ضحكت جنيفر بمرح ظاهر وقالت له، قبل ان تخرج من سيارته وتركض بسعادة نحو بوابة المبنى:

ـ لا، ليس لديك اي موعد على الاطلاق.

وهكذا بدأت العلاقة... تحولت تدريجاً من دعوات بين الحين والآخر الى غداء او عشاء، الى سهرة راقصة او حضور مسرحية. وظلت على هذا المنوال... الى ان انتهت قبل يومين فقط!

ـ هذه اسوأ رحلة طيران اقوم بها في حياتي. وخزت نفسي بالابرة ثلاث مرات على الاقل.

التفتت جنيفر الى جارتها التي قالت لها تلك الكلمات، ولاحظت فجأة ان الطائرة تهتز بقوة، نتيجة اختراقها جيوباً هوائية. تمتمت ببضع كلمات مؤيدة جملة جارتها، فاعتبرت تلك السيدة تعليقها المهذب دعوة للحديث. قالت لها:

ـ كنت في سولت ليك سيتي مع ابنتي ومولودتها الجديدة. قلت لريتشارد، اي زوجي، انه ليس من اللائق ان نترك ابنتنا وحدها خلال الاسابيع الأولى على الأقل. الطفلة بالطبع هي اول حفيد لنا، ونحن متشوقان كثيراً لرؤيتها. اسمها ايمي اسم قديم وجميل، الا تعتقدين ذلك؟

هزت جنيفر رأسها وابتسمت لها بتهذيب، متمنية لو انها تتوقف عند هذا الحد... مع انها ممتنة لها لتحويل افكارها عن تلك الليلة

المؤلمة الحزينة.

- هل انت ذاهبة الآن الى وايومينغ في عطلة للتزلج؟ من المؤكد ان الطقس حالياً يناسب ذلك الى حد كبير.

اجابتها جنيفر بهدوء:

- لا. انا ذاهبة الى هناك للاقامة مع اختي بعض الوقت.

- اوه، هل تعيش في جاكسون ؟ انا من منطقة مجاورة جداً تقع خارج البين مباشرة. ماذا يفعل زوجها؟ الن تكون صدفة جميلة اذا اكتشفت انني اعرفها؟ انا اعرف عدداً كبيراً من الاشخاص هناك.

- تدير اختي شيلا فندقاً على الطريق الرئيسي في جاكسون، ولكنها لم تسكن هناك الا قبل عامين فقط. اما زوجها فقد قتل في احدى المعارك قبل بضع سنوات.

- اوه، انه امر محزن.

ثم استدارت فجأة نحو جنيفر وسألتها بلهفة:

- هل كان زوجها ابن عائلة جفريز؟

هزت جنيفر رأسها مؤكدة ذلك، فمضت جارتها الى القول:

- اعرف والديه جيداً. امضيا فترة عذاب طويلة عندما تم ابلاغهما بانه مفقود. ظلا يأملان في انه حي يرزق، الى ان اخبرتهما قيادة الجيش نبأ مقتله بصورة رسمية.

- كانت فعلاً ضربة قاسية وموجعة لهما، وهذا هو سبب انتقال شقيقتي الى جاكسون. شعرت بان على اولادها ان يتعرفوا على جديهم بصورة افضل، كما ان وجود الاحفاد سيخفف قليلاً من احزان الجدين.

- تقولين انها تدير فندقاً، اليس كذلك؟ سوف تنهمك كثيراً في العمل خلال فترة قصيرة، اذ لم يعد يفصلنا عن موسم التزلج سوى اسابيع قليلة. عدد المتزلجين بالطبع قليل جداً بالمقارنة مع افواج

السياح الذين يتدفقون على مناطق وايومينغ في الصيف. هل ستكون شقيقتك بانتظارك في المطار؟

ـ نعم، اتصور ذلك.

قالت لها السيدة المسنة بهدوء:

ـ ارجو الا تشعر بانزعاج بالغ عندما ستعرف ان طائرتنا لن تحط هناك.

رفعت جنيفر حاجبيها استغراباً وسألتها:

ـ ماذا تعنين بذلك؟

اجابتها جارتها بلهجة الواثق من نفسه:

ـ الطقس، يا عزيزتي، الطقس! فقبل مغادرتي سولت ليك، سمعت الاذاعة تقول ان هناك ثلوجاً كثيفة في منطقة جاكسون.

ما ان اكملت السيدة جملتها، حتى سمعت جنيفر صوتاً قوياً جميلاً يقول عبر مكبرات الصوت الصغيرة في قلب الطائرة:

ـ اسعد الله اوقاتكم، قائد الطائرة يحدثكم. لدي انباء سارة للمتزلجين. ابلغني برج المراقبة قبل قليل ان درجة الحرارة المئوية في جاكسون هي واحد تحت الصفر، وان سماكة الثلج الجديد الذي لم يتوقف بعد بلغت خمسة عشر سنتيمتراً. ولكنه يؤسفني ان اقول لكم ان الرياح قوية، والرؤية في محيط المطار اقل من المستوى الادنى المطلوب. ولذا، فاننا مضطرون للهبوط في مطار ايداهو فرلز. ستزود الشركة جميع المسافرين الى جاكسون بوسائل نقل برية. اتصلوا فور وصولنا الى ايداهو فولز بالمسؤولين عن الشركة لتأمين نقلكم فوراً الى جاكسون. سنصل باذن الله في الواحدة الا خمس دقائق. اتمنى للمتزلجين حظاً سعيداً، وشكراً.

اسندت جنيفر ظهرها الى مقعدها وادارت وجهها نحو النافذة، لتخفي عينيها الدامعتين عن نظرات الامرأة الثرثارة. كانت متشوقة

كثيراً لرؤ ية اختها، بعد هذه الفترة الطويلة نسبياً. ومع ان اختها اكبر منها بخمس سنوات، الا ان العلاقة بينهما كانت دائماً وثيقة وحميمة. ظلت تطلعها باستمرار على كل ما يجري معها بالنسبة الى برادلي ستيفنسن. وعندما حدث ما حدث في تلك الليلة المشؤ ومة، لم ترد ازعاج والديها بهمومها وانكسار قلبها. . . وشعورها بالاذلال. ولكنها استنجدت عوضاً عن ذلك باختها، التي قالت لها عبر الهاتف انها ستفتح لها بيتها وقلبها على حد سواء. جفت الدموع من عينيها وعلت وجهها ابتسامة ارتياح، عندما تذكرت رد فعل شيلا على تفاصيل ما حدث معها في تلك الليلة الاخيرة مع برادلي. قالت لها بلهجة حادة مشبعة بالحب والحنان:

- برادلي ستيفنسن شخص ذكي، وجسور، وقاس. من المؤكد انك لن تقدري على متابعة العمل معه، كما ان الحل لا يكمن في العودة الى الوالدين والمزرعة. انت بحاجة لتغيير الجو، تعالي وامضي معي بعض الوقت، اشعر دائماً بشيء من الوحدة اثناء الميلاد، لانني بعيدة عنكم، اضافة الى ذلك، سيسرني كثيراً ان اتلقى بعض المساعدة في هذا الوقت بالذات، عندما يهجم علينا هؤلاء المتزلجون. احضري في اول طائرة متوجهة الى هنا. . . ولن اقبل اي رفض او تردد. في اي حال، اعتبري انك لم تشاهدي ثلجاً حقيقياً في حياتك ما لم تمضي فصل الشتاء هنا.

وافقت بسرعة فيما كانت دموع الفرح تترقرق من عينيها، مضت شيلا الى القول، بلهجة الأخت الكبرى التي لا تقبل ممانعة او اعتراضاً:

- اكتبي الى الأهل رسالة تقولين فيها ان مديرك مريض وموجود في المستشفى، او اي شيء آخر من هذا القبيل، وانك ستأخذين اجازة طويلة لتمضية هذه الفترة معي، سوف نخبرهما الحقيقة في

وقت لاحق.

يا لسعادتها لأن لها اختاً مثل شيلا! انها دائماً قديرة وقوية، وتتفهم الأمور بسرعة ونباهة. اوه، وكم هي جميلة ايضاً! شعرها كسواد الليل الحالك، وعيناها زرقاوان بشكل مذهل... يزيد من روعتهما ذلك الصفاء وتلك النقاوة، كانت شيلا تعتبر الفتاة الجميلة في العائلة، بينما كانت هي الصغيرة المدللة.

- نرجو من الركاب الكرام الامتناع عن التدخين، اننا الآن على وشك الهبوط في مطار ايداهو فولز، الرجاء ان تظلوا في مقاعدكم حتى تتوقف الطائرة تماماً، على الذين سيتابعون سفرهم الى جاكسون، الاتصال بمكتب الشركة لتأمين نقلهم بالسيارات. نأسف جداً لهذا الازعاج الناجم عن احوال جوية طارئة، ونشكركم على اختياركم شركة الخطوط الجوية وسترن.

نزلت جنيفر بسرعة على سلم الطائرة، وهي تضع يدها فوق عينيها لحمايتهما من الثلج والهواء. كان من المفترض ان تصل الآن الى جاكسون، وتركض نحو اختها لضمها ومعانقتها بشوق وحرارة. ولكنها اصبحت مضطرة للقيام برحلة اخرى... وللتفكير مجدداً بمشاكلها واحزانها.

وقفت في زاوية هادئة نوعاً ما، تنتظر انتهاء الآخرين من اجراء معاملاتهم. كانت شاردة الذهن، تتطلع حولها بتأفف وملل شديدين. وفجأة، التقت عيناها بعينين بنيتين جميلتين تتأملانها باهتمام بالغ. رفعت رأسها وكتفيها بعنفوان، وبدأت تتفحص صاحبهما بدقة مماثلة. لم تجد اشياء لا تعجبها. بدا طويل القامة الى حد كبير، وعريض المنكبين الى درجة ملفتة للنظر. ملامحه قوية، وجهه جذاب، شعره كستنائي رائع، عيناه تشعان ذكاء ودهاء.

ابتسم لها بخبث واضح. خجلت لأنها سمحت لنفسها حتى

بمجرد تأمله، فأدارات وجهها عنه وقد احمرت وجنتاها انفعالاً وحياء. وصفته في تفكيرها بانه رجل عنيف، متسلط... وفاتن نساء! وتذكرت على الفور ما واجهته من ذلك الفاتن الآخر، الذي عذبها بما فيه الكفاية! تطلعت نحو موظفة الشركة، التي تتولى الاهتمام بالمسافرين الى جاكسون، فوجدت انها تكاد تصبح الشخص الأخير الذي لم ينه معاملاته. انحنت قليلاً لتحمل احدى حقيبتيها، فسمعت رجلاً يقول لها بصوت قوي رنان:

- هل تسمحين لي بأن اساعدك؟

رفعت رأسها نحو مصدر الصوت وشعرت فوراً بالغضب، لأنه لم يكن الا الغريب ذاته الذي كان يحدق بها قبل لحظات معدودة. مدت يدها نحو الحقيبة وقالت له ببرودة:

- شكراً لست بحاجة لمساعدة احد.

ابتسم لها وكأنه يعرفها، ثم قال:

- انت جنيفر غلين، اليس كذلك؟ لم اشاهد اي شابة حمراء الشعر غيرك تغادر الطائرة.

ارادت ان تحتج على وصف شعرها الأشقر المحمر بأنه احمر، ولكنه سبقها الى الكلام قائلاً:

- اتصلت بي شيلا في الفندق وابلغتني بأن طائرتك ستهبط هنا عوضاً عن جاكسون. ثم سألها وهو يمد يده نحو الحقيبة الأخرى المماثلة:

- هل هذه ايضاً لك؟

- نعم. من انت؟

- تايلور. لوغان تايلور. انا متأكد من ان شيلا اخبرتك عني في رسائلها المتعددة لك.

حمل الحقيبة الكبرى في يده ووضع الصغرى تحت ابطه، ثم

امسك بذراعها وسار واياها نحو الجانب الآخر. طبعاً، اخبرتها شيلا عنه اكثر من مرة. ولكنها كانت تتصوره دائماً اكبر من ذلك بكثير. انه ليس اكثر من واحد وثلاثين او اثنين وثلاثين عاماً، وهو صاحب الفندق الذي تديره شيلا . . . بالاضافة الى مؤسسات كثيرة اخرى.
انتبهت الى انهما اصبحا امام باب مقهى المطار، وسمعته يقول لها:
ـ اتصور انك لا تمانعين بشرب فنجان قهوة والاستراحة قليلاً قبل ذهابك.
ـ ذهابي؟ ذهابي الى اين؟
ساعدها على الجلوس قبل ان يسحب كرسياً لنفسه ويقول:
ـ الى جاكسون، طبعاً.
ـ ولكن الشركة . . .
ـ ابلغت موظفي الشركة انني سأستقبلك بنفسي. اتصلت بي اختك لحسن الحظ قبل دقائق من مغادرتي الفندق. كانت تعلم انني سأعود اليوم الى جاكسون. وبما انك ستقيمين معها، فان الرحلة ستعطينا فرصة طيبة للتعرف على بعضنا.
ثم نظر الى وجهها باعجاب مرة اخرى، وسألها:
ـ كيف تحبين القهوة؟
ـ مرة، اذا سمحت.
انتظرت قليلاً حتى سجلت الخادمة طلبهما وابتعدت عن طاولتهما، وقالت رداً على نظرته وملاحظته السابقة حول موضوع التعرف:
ـ اشك كثيراً في انه ستحدث بيننا لقاءات متعددة، يا سيد تايلور.
ـ اسمي لوغان، وجاكسون ليست كبيرة كما تتصورين. سوف نتقابل كثيراً بالتأكيد.

احضرت الخادمة فنجاني القهوة، فابتسم لها بحرارة. لاحظت جنيفر احمرار وجه الشابة، فتضايقت منه الى درجة كبيرة. وسمعت فجأة صوتاً نسائياً ناعماً يصرخ بلهفة:

- لوغان! لوغان! لم تترك ايداهو فولز بعد؟

تطلعت جنيفر نحو مصدر الصوت، لتشاهد اثنتين من اجمل الفتيات اللواتي رأتهن في حياتها. كانت احداهما شقراء ترتدي معطفاً من الفرو يبدو كأن ثمنه يفوق دخلها لمدة سنة كاملة.

- اتيت لاحضار شيرلي، فوجدتك. لو انك ابلغتني صباحاً بانك ستأتي الى المطار، لكنا جئنا معاً.

ثم نظرت الى السمراء ذات الشعر الطويل، التي كانت تتأمل لوغان باغراء، وقالت:

- اليست مصادفة رائعة، يا شيرلي؟ كنت اتحسر على ذهابك، يا لوغان، وها انا اراك الآن في المطار. كان علي ان اعرف انك ستغير رأيك بالنسبة للعودة في هذا الطقس الرديء، وخاصة بعد ليلة امس الطويلة والمرهقة.

كادت جنيفر تتنهد قرفاً واشمئزازاً من الطريقة الواضحة التي كانت الفتاتان تتبعانها في رمي نفسيهما عليه، ومن تقبله لذلك الأسلوب وكأنه حق من حقوقه. وسمعت شيرلي تسأله بخبث بدون ان ترفع نظرها عنه:

- من هي الفتاة الصغيرة، يا لوغان؟

- انها جنيفر، شقيقة شيلا جفريز. ديدي هنتر وشيرلي سكوت.

عادت الشقراء ديدي الى الحديث، قائلة بسخرية لاذعة:

- لا يزال هناك اسبوعان قبل حلول الميلاد، ولم اكن اتصور ان عطلة المدارس ستبدأ في مثل هذا الوقت المبكر.

ردت عليها جنيفر بحدة:

ـ لا تُوجد في المدارس عادة شابات في الثانية والعشرين من اعمارهن، يا آنسة.

ـ هل انت حقاً في مثل هذا السن؟ انك تبدين اصغر بكثير من ذلك. في اي حال يا لوغان، يجب ان تأتي الليلة لأننا سنقيم حفلة احتفاء بعودة شيرلي.

ـ سأعود اليوم الى جاكسون. انتظرت بعض الوقت لآخذ جنيفر معي. سنغادر المطار خلال دقائق. ربما سأتمكن من حضور حفلتك المقبلة.

وفيما قالت جنيفر لنفسها باشمئزاز انه يمارس معهما لعبة شد الحَبل، احتجت شيرلي قائلة:

ـ يجب الا تقود السيارة في مثل هذا الطقس السيء. لماذا لا تنتظر حتى يعتدل الطقس؟ اعتذر عن ذلك بتهذيب وحزم، فقالت له ديدي:

ـ انك لعين جداً، يا لوغان تايلور. ولكن تذكر ان تحجز لنا في اول نهاية اسبوع بعد الميلاد. سنكون ثمانية اشخاص.

وعدها بأنه لن ينس ذلك، فتركت ذراعه وقالت له:

ـ يجب ان نعود بسرعة. الى اللقاء، ايها الحبيب.

ارسلت له قبلة في الهواء وبدأت تدفع شيرلي نحو الباب، ثم قالت:

ـ تشرفت بمعرفتك يا جانيت.

ـ الشعور متبادل، يا دودو.

جلس لوغان قربها وسألها عما قالت، فأجابته:

ـ لا شيء. اسمع! اذا كان وجودي معك يمنعك من القيام بما تريد، فاني متأكدة من انه لا يزال بامكاني استخدام سيارات الشركة.

امسك بذقنها وادار وجهها نحوه. ابعدت نفسها بسرعة، وهي تشعر بتوتر شديد في اعصابها. شرب بقية القهوة في فنجانه، وقال لها ممازحاً:

- تصورت للحظة ان عينيك خضراوان، ولكنهما لا تزالان بنيتين!

وقفت جنيفر بغضب وحدة، وقالت:

- اذا كنت مستعداً للذهاب، فهيا بنا. اريد انهاء هذه الرحلة بأسرع وقت ممكن.

ضحك لوغان وقال:

- انت بالتأكيد حادة الطباع... مع ان شعرك ليس احمر!

٢ - سرير العاصفة!

كان الثلج يتساقط بكثافة فوق السيارة وحولها، بحيث لم تعد جنيفر ترى شيئاً. . . وكأنها اصبحت مغلفة بغيوم بيضاء ورمادية. وكان الشخص الآخر الذي يشاركها عالمها المغطى بالثلوج، آخر انسان تريد ان تكون معه. . . لوغان تايلور.

نظرت اليه بسرعة، فرأته يركز نظراته واهتمامه بصورة تامة على الأمتار القليلة المرئية بصعوبة امامه. كان يقود سيارته بعناية وتمهل شديدين، متمتماً كلمات غاضبة عن تلك العاصفة الثلجية المزعجة. ثم قال لها، بدون ان تترك يداه مقود السيارة او ان تحيد نظراته عن الطريق الممتدة امامه:

- هل ستصرين، يا جيني غلين على مواصلة هذا الصمت الرهيب لساعتين مقبلتين؟

توترت اعصابها قليلاً وصححت له معلوماته المتعلقة باسمها الأول، قائلة:

- اسمي جنيفر.

- انا افضل جيني غلين اكثر. انه اجمل، واسهل، وفيه موسيقى.

كان يبتسم بطريقة ازعجتها بعض الشيء. . . مع ان كلماته كانت جميلة. احتجت بالقول:

- اني اكره اسم جيني، واشعر بأنه لا يناسبني.

نظر اليها ثانية، وكانت ابتسامته هذه المرة عريضة وتوحي صراحة بانه يريد اغاظتها. احست جنيفر بأن نظراته تحمل الكثير من الود

والمرح، فاضطرت لابعاد وجهها عنه وعن سحره الجذاب. ارتعش جسمها قليلاً، عندما تخيلت نفسها من ذلك النوع من النساء الذي يتأثر بسرعة بمغازلة الرجل الوسيم الفتان. وجه الى ساقيها لمحة خاطفة، ثم قال لها:

- اذا كنت تشعرين بالبرد، فثمة غطاء على المقعد الخلفي يمكنك ان تغطي به رجليك.

هزت جنيفر كتفيها وقالت له ببرودة، مستخدمة تعبيراً محلياً:

- لا، اني بخير، ولكني اشعر بأن شبحاً يمشي فوق قبري.

ثم تنهدت قليلاً وسألته:

- هل المسافة لا تزال طويلة؟

- اتصور انها ما بين ثلاثين واربعين كيلومتراً.

قالت له بخبث واضح:

- آمل في الا تقلق علي شيلا!

اجابها بلهجة حازمة الى حد ما، فيما كانت نظراته الشيطانية تتأملها بسخرية:

- كيف يمكنها ذلك، وانت معي!

ردت عليه فوراً بدهاء مماثل:

- وهذا يعني ان كل شيء على ما يرام، اليس كذلك؟

لم يجبها لوغان، لأنه اضطر لتركيز كافة انتباهه على الطريق المتعرجة. ازدادت سرعة الريح، فضعفت الرؤية الى درجة مذهلة. ولكن الأعمدة المزروعة على جانبي الطريق، والتي تعكس انوار السيارات، شكلت له ضمانة اكيدة الى درجة معينة. كما ان السلاسل التي لف بها عجلات السيارة، ساعدته على تفادي الانزلاق الذي تتعرض له الآليات غير المزودة بمثل هذه السلاسل الضرورية.

ـ انا لا اعجبك كثيراً، اليس كذلك؟
اجابته جنيفر، وهي تعلم تماماً انها تكذب:
ـ لا تكن سخيفاً، فأنا لا اكاد اعرفك.
ـ من السخيف منا؟ اتصور انك اجريت لي فعلاً محاكمة في عقلك، واصدرت علي حكماً مبرماً. الا اطابق الصورة التي رسمتها عني شيلا في رسائلها؟
تأملته جنيفر ببرودة، وهي تركز نظراتها على شعره الجميل ووجهه الوسيم. لم يسجل عقلها سوى الأوصاف المتعلقة بقوته، وحيويته، وغطرسته... وبالتأكيد خبرته الفائقة في فن الحب. توخت الصدق والأمانة، عندما اجابته قائلة:
ـ لا، فقد كان لدي انطباع انك اكبر سناً واكثر استقراراً، او بالاحرى رجل يعيش مع عائلته بهدوء وطمأنينة. هل تعرف اختي منذ زمن طويل؟
ضحك لوغان قليلاً، وقال لها:
ـ منذ بعض الوقت، كان اريك صديقي المفضل، واذكر اننا التقينا شيلا في الوقت ذاته. انها امرأة جميلة جداً. نالت اعجابنا على الفور، وحاول كل منا ان يسبق الآخر الى قلبها. فاز اريك، فتمنيت له التوفيق والسعادة. لم اتمكن من حضور حفل زفافهما والا لكنت التقيت بك آنذاك. عادت شيلا الى جاكسون، فكان من الطبيعي ان اقابلها واولادها. انهم طيبون كثيراً... اريك الصغير يتصرف كرجل مع انه لم يتجاوز السابعة، وسيندي تحاول جهدها ان تتمثل به، اما ريتشارد فهو الأكثر نشاطاً وحيوية.
تساءلت جنيفر عما اذا كان مهتماً حقيقة بأولاد صديقه المفضل، ام بأختها التي فضلت مرة صديقه عليه. سألته بهدوء:
ـ هل تراهم كثيراً؟

ـ نعم. لدى اختك شعور بالاستقلالية والاعتماد على الذات يثير الاعجاب، ولكنها تجد من المناسب بين الحين والآخر ان يكون قربها رجل تعتمد عليه وتستعين به. يميل بول وكاتي، والدا اريك، الى تدليل الأولاد اكثر من الضروري... انه امر طبيعي بالنسبة الى الجدين. ولذلك اجد نفسي احياناً مضطراً للتدخل، والتصرف معهم كأب. اقوم بهذه المهمة لأخفف قليلاً من مطالبة امهم باكثر مما يجب.

علقت على كلامه بشيء من السخرية، قائلة:

ـ انك... الأخ الأكبر!

سألها بهدوء وحذر:

ـ ماذا يعني كلامك هذا؟

ـ هكذا تتصرف معهم، اليس كذلك؟ اعني... اعني ان هذه هي نظرتك نحو شيلا واولادها.

ـ منذ متى لم تلتقي اختك؟

ـ التقيتها عندما اتت الى المزرعة في الربيع الماضي. اما اذا كنت تعني ملاقاتها في جاكسون، فهذه هي المرة الأولى.

ـ لم تشاهديها وهي تمضي فترة ما بعد الظهر مع الأولاد، ثم تعمل معظم ساعات الليل لأنهاء اعمالها المنزلية. لا تعرفين كيف يصر اريك وسيندي كل مساء، بعد ان ينام اخوهما، على ان تخصص لكل منهما اهتمامها كاملاً غير مجزأ... او كيف يتصرفان احياناً كشخصين راشدين لتخفيف بعض الأعباء عن كاهلها. كنت سأهتم بها، وسأساعدها قدر امكاني، حتى لو لم يكن زوجها اعز صديق لدي. يمكنك ان تصفيني باستهزاء كالأخ الأكبر، ولكن ذلك لن يمنعني عن متابعة ما اقوم به تجاهها وتجاه اولادها.

ارادت ان تستفزه لتظهر له اعتراضها على اهتمامه باختها

واشمئزازها من ذلك. ولكنها اثارت حفيظته وجعلته يتخلى عن هدوئه وسكينته... ويكشف لها عن طبيعته القوية المتسلطة وسمعته يضيف متمتماً:

ـ كان علي ان اعرف انه يستحيل وجود شخص آخر مثل شيلا، من حيث الاخلاص والتضحية... والبعد عن الأنانية.

ادركت جنيفر انها عرضت نفسها بنفسها لمثل تلك الكلمات القاسية. ولكنها على الأقل اصبحت تعرف مدى حاجة اختها لها. احست بعد هذه الملاحظة الكريهة بانها ستساعد شيلا، عوضاً ان تكون عبئاً جديداً على كتفيها المتعبتين. فتحت فمها لتعتذر منه، ولكنها شعرت بأن السيارة اخذت تموج كذيل سمكة. كانت الطريق مغطاة بطبقة رقيقة من الجليد، واحست من ملامح وجهه المتوترة بوجود خطر حقيقي.

ـ تمسكي جيداً، يا جيني، فقد نخرج عن الطريق بين لحظة واخرى.

حبست انفاسها وهي تراقب محاولاته اليائسة للسيطرة على السيارة. بدا للحظة انه يكاد ينجح في ذلك، ولكن... انزلقت السيارة مسافة ليست قصيرة، ثم ارتطمت بأحد الأعمدة... وتوقفت. ابعد خصلات شعرها عن وجهها وقال لها بتلهف، فيما كان يتفحصها بعناية:

ـ جيني؟ هل انت بخير؟

ـ نعم... انا... انا بخير.

ثم ضحكت بشيء من العصبية والتوتر، واضافت قائلة:

ـ انا بخير والحمد لله، مع انني اصبت بخوف وهلع شديدين.

ابتسم وقال:

ـ وانا ايضاً. هل ارتطم رأسك بزجاج السيارة او بأي شيء آخر؟

اكدت له باسمة بانها سليمة وشعرت بالدفء والأمان بسبب لهفته واهتمامه الصادقين، وتضايقت الى حد ما عندما ابتعد عنها واستوى في جلسته وراء المقود. خرج من السيارة، فاحست بقوة العاصفة وسرعة الرياح الباردة. تفحص مقدمة السيارة، ثم عاد بسرعة والثلج يغطي رأسه وسترته. واجه نظراتها الجادة بابتسامة مرحة، وقال:

ـ لدي انباء سارة واخرى سيئة. بماذا ابدأ؟

ابتسمت وطالبته بان يبدأ اولاً بابلاغها الانباء الجيدة، فقال:

ـ علقت السيارة، ولا يمكننا اعادتها الى الطريق.

سألته بسرعة وبلهجة تنم عن الخوف الشديد:

ـ رباه، وما هي اذن الأنباء المزعجة؟

ـ يوجد بيت على بعد حوالى مئة وخمسين متراً من هنا، ومن المؤكد ان سكانه موجودون فيه لأني رأيت الدخان يتصاعد من المدخنة.

احست بغضب عارم لم يدم طويلاً، لأن روحها المرحة تغلبت على جديتها. انفجرت ضاحكة، فضحك بدوره وقال لها باسماً:

ـ واخيراً عرفت ان لديك روحاً مرحة. كان من الصعب جداً علينا ان ندخل بيت اشخاص غرباء ونحن على خصام. غطي نفسك جيداً، فالطريق طويلة والطقس رديء جداً.

زررت سترتها وشدت غطاء الرأس جيداً حول اذنيها وخديها، ثم ارتدت قفازيها وقالت له انها جاهزة. طلب منها ان تخرج من جهته، لأن الثلج اقل كثافة في الجانب الأيسر للسيارة. اخرجت رجليها لتنزل من السيارة، فقال لها ضاحكاً من الخارج:

ـ سوف تغرقين في هذه الثلوج، ايتها المسكينة.

لاحظت كيف يغطي الثلج رجليه حتى الركبتين تقريباً، فارتعش جسمها الصغير وهي تتصور نفسها غارقة حتى اعلى رجليها. قال لها

وهو يهم بحملها:

- ضعي ذراعك حول عنقي. سأحملك حتى الطريق.

ارادت ان تحتج وتمانع، لأنها لم تكن راغبة في الالتصاق الى هذه الدرجة برجل مثله. ولكنها شعرت بأن الاعتراض سيكون سخيفاً للغاية، لأن اقتراحه عملي ومنطقي. رضخت للأمر، وطوقت عنقه بذراعيها.

كانا على بعد ستة او سبعة امتار عن الطريق، الا ان الهواء القوي كان يهب باتجاههما. سرها جداً ان تتمكن من اخفاء وجهها في سترته البنية الجميلة... ليس فقط لحمايته من الثلج والريح، ولكن ايضاً لمنع لوغان من رؤية احمرار وجنتيها. انزلها بهدوء وروية، وقال لها بصوت عال كي تتمكن من سماعه:

- سنمشي الآن نحو ذلك البيت. لا تتركي يدي، والا اضعتك في هذه العاصفة.

رأت ابتسامته الخبيثة فتضايقت، ولكنها لم تجادل او تعترض. سار امامها بخطى بطيئة، وكانت قدماه تتحركان كشفرتي مقص ليفتح لها وراءه مباشرة ممراً افضل. شعرت كأنها تسير على حبل مشدود، ولمسافة تصل الى آلاف الامتار. تعبت كثيراً، واوقفته بضع مرات كي تلتقط انفاسها وتريح رجليها. وفجأة، فقدت توازنها وهوت على ركبتيها. لم يستأذنها، بل حملها ثانية وهو يقول:

- انه الارتفاع الشديد. من الأرجح اننا الآن على علو حوالى الفين وثلاثمئة متر عن سطح البحر.

لم ترفض او تعترض. كانت متعبة لدرجة كبيرة، وممتنة له لأنه قرر حملها بقية المسافة. خاب املها عندما اقتربا من ذلك المسكن، وتبين لها انه كوخ خشبي وليس بيتاً. تطلعت اليه لتعرف رد فعله، فلم تشاهد اي شيء غير عادي في ملامحه.

فتح الباب فجأة رجل متقدم في السن، تغطي وجهه لحية بيضاء وتوحي عيناه بأي شيء الا الترحيب وروح الضيافة. تطلع الى لوغان غاضباً، وسأله بصوت عال:

ـ ماذا تفعل هنا؟ ماذا تريد؟

تجاهل لوغان الروح العدائية واللهجة العنيفة، وقال بهدوء:

ـ علقت سيارتي قرب الطريق، ولم اعد قادراً على اخراجها بسبب كثافة الثلج. شاهدت الدخان يتصاعد من مدخنتك، وخيل الي اننا قادران على اللجوء اليك طلباً للاحتماء ببيتك اثناء الليل.

ـ انكما غبيان جداً، والا لما كنتما تجولتما في مثل هذا الطقس! في اي حال، ادخلا الآن قبل ان تتجمد هذه الانسانة!

فتح الباب لهما على مصراعيه ليدخلا، فأنزل لوغان اخت صديقته وشكر الرجل من صميم قلبه. قال لهما الرجل بصوت قاس، ينم عن الانزعاج:

ـ ليس لدي قصر، وليست لدي اشياء كثيرة يمكنني تقديمها لكما. ومع ذلك، فانكما على الرحب والسعة.

اخذت جنيفر تتأمل الكوخ الصغير باعجاب واضح، قبل ان يسألها لوغان:

ـ هل اساعدك لتخلعي حذاءك المبلل؟

شكرته على اهتمامه بها، فتطلع بمضيفه قائلاً:

ـ اسمي لوغان تايلور، وهذه هي الآنسة جيني غلين. اننا نقدر لك كثيراً استضافتك لنا واهتمامك بنا.

ـ هل قلت تايلور؟ يبدو انني اعرف والدك، ايها الشاب. كان صياداً عظيماً، اليس كذلك؟ انا لا اعترف ابداً بالصيد لأجل المتعة فقط. يجب ان يفرض على كل صياد ان يأكل لحوم الطيور والحيوانات التي يصطادها.

ـ صحيح، كان والدي يصطاد كثيراً ويحب اللحم المشوي. ولكنه توفي قبل سنوات عدة.

ـ اوه! هل يمكنني ان ادعوكما الى العشاء؟ اقتربا من النار، وسوف احضر لكما بعض قطع اللحم. اسمي كارمايكل.

ثم اشار الى جنيفر وسأله عما اذا كانت تعرف كيف تطهو. ابتسم لوغان بمرح ظاهر، فقال الرجل:

ـ هناك شيئان فقط لا يمكنني تحملهما... الطاهية الجيدة، والامرأة التي لا تعرف الطهي. ضحك لوغان واقترب من الموقد. انضمت اليه جنيفر، فقال لها:

ـ انه عجوز يحب الخصام، والمشاكسة، اليس كذلك؟

ابتسمت جنيفر وهزت رأسها دليل الموافقة. نظر الى النار ثانية، وقال:

ـ يجب ان تستبدلي ثيابك هذه باخرى جافة. سأحضر لك الحقيبتين من صندوق السيارة.

ـ ليس ذلك ضرورياً على الاطلاق. سوف اتدبر امري هذه الليلة.

ـ هراء! انتظري هنا! سأعود خلال دقائق.

امسك بيدها واجلسها على كرسي قرب النار، وهم بالذهاب. قالت له:

ـ انتظر على الأقل حتى تجف ثيابك.

ـ لا، فالوقت لا يسمح لي بذلك، اذا انتظرت قليلاً وحل الظلام، فلن اجد طريقي بسهولة الى السيارة.

راقبته جنيفر بتردد، فيما كان يزرر سترته ويضع يديه في قفازيه. لوح لها بيده... وغادر الكوخ على عجل. انه طيب جداً، ويحب مساعدة الآخرين. ربما كان هذا التصرف احدى وسائله لايقاع

النساء في شركه وحبائله. ولكن. . . ما هو رأي شيلا به؟ انها الآن على الارجح في وضع يجعلها فريسة سهلة المنال بالنسبة لرجال مثل لوغان. فهو من النوع الذي يستطيع التظاهر بانه الرجل المطلوب، والتصرف كأنه شخص لا يمكن الاستغناء عنه. ابتسمت جنيفر بشيء من الاعتزاز، لأن برادلي ستيفنسن علمها هذه الامثولة. اصبح بامكانها الآن ان تنظر الى اشخاص مثل لوغان بروية وحذر فائقين، شعرت فجأة بالهواء البارد يلسع وجهها، فعلمت ان الرجل المسن عاد الى الكوخ، ابتسمت مرحبة به، فتجاهلها ورمى كمية اللحم التي احضرها على طاولة صغيرة لا تبعد عنها كثيراً.

- هل يمكنني ان اساعدك بشيء؟

- لا! لا اطيق وجود نساء في مطبخي.

دخل لوغان الكوخ في تلك اللحظة، ووضع الحقيبتين على الأرض قائلاً:

- اوه، اعتقد ان الوضع يزداد سوءاً في الخارج.

ابتسم الفلاح العجوز وقال:

- انت على حق، على الانسان هنا ان يتوقع احد امور ثلاثة من طقس وايومينغ. . . فاما ان تثلج السماء وتغطي الجبال بطبقة رقيقة من المساحيق البيضاء، او ان يصبح الجو ابرد من قدمي زوجتك في الشتاء، او ان تهب الرياح الباردة جداً بحيث تصطك اسنانك وتشعر بانها ستقع خارج فمك، اما عندما تجتمع هذه الاحتمالات معاً، فذاك هو الجحيم الحقيقي!

ضحك لوغان من اعماق قلبه، فنظرت اليه جنيفر بعينين باسمتين، هز رأسه وقال لها مبتسماً بود وحرارة:

- السيد كارمايكل على حق، فلا يمكنك حقاً ان تعرفي معنى الشتاء والبرد، ما لم تمضي هذا الفصل هنا في تيتونز.

ثم نظر الى رب البيت وسأله بهدوء:
- اين يمكنها ان تستبدل ثيابها؟
اشار الرجل برأسه الى مكان قريب، قائلاً:
- الحمام هناك، الى اليسار.
ثم تنهد قليلاً وقال:
- وعدت ماري قبل اربعين عاماً بانني سأمد لها انابيب المياه الضرورية، ولكنها توفيت قبل ان اتمكن من الوفاء بوعدي. اللعنة على هذا البرد! انه يجمد الماء في الانابيب!

لاحظت جنيفر ان ذلك الحمام كان غرفة صغيرة للغاية، وان الحوض الحديدي يملأ معظمها. لم تجد سوى نصف متر فقط تتحرك فيه، ولكنها نجحت اخيراً في استبدال ثيابها وعادت الى الغرفة الرئيسية. وفيما كان السيد كارمايكل يعد المائدة، راحت جنيفر تتأمل المجموعة الكبيرة من الكتب الموضوعة على ثلاثة رفوف في احدى الزوايا. وسمعت لوغان يسأله:
- الم تفكر ابداً بايصال الكهرباء اليك؟ الخط الرئيسي موجود على بعد امتار قليلة فقط.

رد الرجل المسن بشيء من العصبية:
- النفقات باهظة، ثم هل انا فعلاً بحاجة اليها؟

تدخلت جنيفر، وهي تنظر الى قصة توم سويار لمارك توين وقصة اوليفر تويست لتشارلز ديكنز ورواية روميو وجوليت لوليم شكسبير، وقالت:
- من المؤكد ان لديك مجموعة رائعة من الكتب، يا سيد كارمايكل.

اخرج البطاطا المشوية من الموقد، وقال لها بحدة:
- وهل كنت تظنين انني لا اقرأ ابداً؟

اعتذرت جنيفر، قائلة:

- اوه، لم اكن اقصد ذلك على الاطلاق، تصورت فقط ان...

- اعرف. تصورت ان هذا الغراب العجوز لا يقرأ مثل هذه الكتب الراقية. لا، يا عزيزتي، فأنا اقرأ كل شيء... بما في ذلك الملصقات الخاصة بالمأكولات المعلبة. هيا الآن، فالطعام جاهز.

كان العشاء بسيطاً للغاية، ولكنه كان شهياً ولذيذاً. ثم قدم لهما القهوة المرة. شربتها بتمهل وتردد، فيما كان الرجلان يشربانها بتلذذ وبساطة. تذمر الرجل العجوز قائلاً:

- انها ليست قوية كما يجب. لا تكون القهوة جيدة الا عندما تكون قوية للغاية.

ثم ابتسم عندما شاهد دهشتها واستغرابها، وقال:

- اننا نسميها قهوة الرجال... قهوة الأقوياء الأشداء. وهي ليست خفيفة كالشاي، مثل تلك التي تشربها النساء.

نظر الفلاح نحو لوغان بعينين براقتين ثم اشار الى جنيفر، واضاف قائلاً بلهجة جادة:

- انها من النوع الجيد من النساء. سيظل شكلها دائماً هكذا... كفتاة مراهقة، وستظل بشرتها على الدوام ناعمة وقوية لا تعرف التجعيد.

لم يعلق اي منهما على كلامه، فتابع حديثه عنها قائلاً:

- تعرفت في بداية عمري على عدد كبير من النساء، ولذلك لاحظت فور وصولكما انها احدى الاناث اللواتي سينجبن اولاداً اصحاء واقوياء.

فتحت جنيفر فمها دهشة واستغراباً، ولكنها اقفلته بسرعة عندما لاحظت النظرات الساخرة في عيني لوغان، قررت ان تضع حداً لهذا التحول المزعج في مجرى الحديث، فقالت وهي تحاول اخفاء احمرار

خديها:
- سأهتم انا بغسل الصحون والأطباق، يا سيد كارمايكل.
- لا، سأتولى ذلك بنفسي، اما اذا كنت تصرين على القيام ببعض الأعمال المفيدة، فما عليك الا ان تفتحي هذا الصندوق القديم وتخرجي منه الأغطية القديمة لتضعيها كفراش قرب النار.
كانت على استعداد للقيام بأي شيء للابتعاد عن نظرات لوغان وعينيه الساحرتين. ما هو الوقت الآن يا ترى؟ ليس اكثر من الثامنة بالتأكيد، ولكنها تشعر بالتعب الشديد والنعاس. فتحت الغطاء الخشبي الثقيل، وسندته على السرير الوحيد في تلك الغرفة. رأت غطاء سميكاً، فقررت على الفور استخدامه كفراش فوق الأرض الخشبية، فيما تستعمل الأغطية الخفيفة الاخرى كلحاف. علت ثغرها ابتسامة عندما تصورت لوغان يدخل تحت هذه الأغطية المتعددة مع السيد كارمايكل، فيما تستأثر هي بالسرير. نظرت نحو الرجل المسن، الذي كان ينهي غسل الصحون وتجفيفها، وقالت له:
- لم اجد اي وسادة، يا سيد كارمايكل.
تمتم بتأفف وانزعاج ثم فتح درجاً واخرج منه وسادتين. اقترب من جنيفر واعطاها اياهما بعصبية، قائلاً:
- استخدمي هاتين الوسادتين.
شاهدت على احدى الوسادتين تطريزاً لكوخ خشبي يتصاعد من مدخنته دخان ازرق اللون، وكتبت تحته كلمتان... بيتي الجميل. ولكن التطريز الموجود على الوسادة الثانية هو الذي لفت نظرها، اذ كان مؤلفاً من قلب احمر كبير وفي داخله كلمة ... حبيبي. كادت تختنق ضحكاً وهي تتخيلهما يستخدمان هاتين الوسادتين العاطفيتين. وضعتهما جنباً الى جنب بدون اي تعليق، ثم جلست على الكرسي الهزاز امام النار تتأمل السنتها الجذابة الساحرة.

اقترب كارمايكل من السرير قائلاً:

- ها قد انتهيت من جميع الصحون والأطباق، ان لم يكن لديكما اي مانع، فسوف اذهب الى النوم منذ الآن.

ثم وجه اليهما ابتسامة خفيفة، واضاف قائلاً:

- يمكنكما الذهاب الى النوم في اي وقت تريدان.

احست جنيفر برعب شديد وذهول فائق، وكادت الا تسمع لوغان وهو يقول:

- هل من المحتمل ان تستخدم جنيفر سريرك لهذه الليلة؟

امسك الرجل بوسادته، وسأل باستغراب بالغ:

- سريري انا؟ ما هي مشكلة الفراش الذي اعدته على الأرض؟

حدقت جنيفر بالرجلين وهي لا تصدق اذنيها، شعرت بأنها ستصاب بنوبة جنون، انه حلم. . . انه كابوس!

احست فجأة بأن الغطاء السميك الموجود على الأرض تحول الى سجادة من الفرو الثمين، وانها كانت مستلقية عليها. . . بين ذراعي برادلي ستيفنسن. كانت تعانقه. . . لا، كانت تقاتله وتضرب يديه اللتين تحاولان التسلل الى جسمها. كانت تتململ وتتحرك بعنف بالغ، وتكافحه بقوة رهيبة، افلتت منه، فصرخ بها:

- لا تلعبي معي دور الفتاة البريئة.

وسمعته يحطم زجاج النافذة، ويتابع صراخه:

- كنت تعرفين تماماً ماذا سيحدث، عندما دعوتك الى هنا. لن ينفعك وجه الطفولة هذا بعد الآن. قبلت تصرفاتك الهادئة والجادة طوال اسابيع عديدة، اما الآن فقد حان دورك انت لتقبلي تصرفاتي كما هي!

وتذكرت انها وقفت تنظر اليه باحتقار وازدراء، خاصة لأنها ارادت ان تحبه. . ان تحب هذا الرجل. . . الذئب!

وركضت. ركضت بعيدا عنه، ولكنها لاحظت انها تركض ضمن دائرة ضيقة وفي حلقة مفرغة. واستفاقت فجأة من هذا الكابوس المرهق، عندما سمعت الرجل المسن يقول:

ـ هذا سريري! انتما في مقتبل العمر، وعظامكما ليست ضعيفة كعظامي لن يؤذيها النوم لليلة واحدة على الأرض.

قالت له جنيفر بصوت متوتر هامس:

ـ ولكنك لا تفهم السبب الحقيقي، يا سيد كارمايكل. نحن لسنا متزوجين.

قال لها بجدية:

ـ ولكنكما سوف تتزوجان. اشعر بذلك من النظرات المتبادلة بينكما.

ثم تطلع نحو لوغان، وهو يبتسم بدهاء، واضاف قائلاً:

ـ هذا بيتي، وانا اقرر اين انام، سأنام في سريري! تصبحان على خير!

٣ - الثلج شاهد صامت!

قام لوغان من كرسيه قرب الطاولة، واقترب من النار، نظرت اليه جنيفر بعينين دامعتين وكأنها تناشده ان ينقذها من ورطتها، لم يتطلع نحوها وظل يحدق بألسنة اللهب المتراقصة، فقامت من مكانها ووقفت قربه، وضعت يدها على ذراعه، وهمست قائلة:

- ارجوك، يجب ان تفعل شيئاً.

تأمل وجهها وملامح القلق القريبة من الخوف في عينيها، ثم هز رأسه محتاراً، نظر بسرعة الى الرجل المسن في سريره، وقال:

- لا اعرف ماذا افعل.

- لا يمكنني ابداً ان انام معك في فراش واحد!

لم تتمكن من اخفاء هلعها الممزوج بالخجل والحياء، فقال لها بهدوء ونعومة:

- لا تهلعي او تفقدي اعصابك، يجب ان ننظر الى هذه المسألة بصورة منطقية، يرتدي كل منا ثيابه كاملة، وما من شيء يمنعنا من النوم بثيابنا. اضافة الى ذلك، يمكنني ان انام في هذا الجانب واستعمل غطاء واحداً، فيما تنامين انت في الجانب الثاني وتستخدمين الغطاءين الآخرين.

كلام منطقي واقتراح لا بأس به، خاصة لأنه لم يكن لديها اي خيار آخر، نظر اليها معاتباً، ثم مضى الى القول:

- انه رجل مسن وعنيد، يا جيني، ولا يمكننا ارغامه على التخلي عن سريره. ثم، يمكنك التأكد من انني لن اغازلك او احاول القيام

بأي شيء غريب معك، انه موجود كشاهد . . . وكحارس امين.
درست ملامح وجهه بدقة وعناية، بدا لها مخلصاً في كلامه ولهجته. السؤال الكبير الوحيد هو . . . هل يمكنها ان تثق به؟ ولكنها مضطرة لقبول الواقع. قالت له بأسى:
- حسناً. ولكن، توقف عن مناداتي جيني، ثم، اني اقسم بأنني سوف. . .
قاطعها وهو يبتسم ويرفع يده بسخرية كأنه يعدها بشرفه، وقال:
- لا تقلقي ابداً! اقسم لك بأنني لن اضع يدي عليك.
اجابته بلهجة صارمة حازمة:
- الأفضل لك الا تفعل ذلك، والا لصرخت بصوت عال يحدث انهيارات في هذه المنطقة.
دفعها برقة نحو الفراش، قائلاً:
- هيا، انت متعبة ومرهقة. تمددي تحت الغطاء وارتاحي.
ثم اخرج علبة سكائره من جيبه، واضاف:
- سوف ادخن سيكارة، وارتاح قليلاً.
لم تجادله في هذا الأمر، بل سارعت الى الفراش وغطت نفسها حتى العنق، نظرت اليه بشكل لا يزال يوحي بعدم الاطمئنان اليه، ثم وضعت خدها على الوسادة، لاحظت فجأة انها تنام على الوسادة التي تحمل قلباً احمر وكلمة حبيبي، فاستبدلتها بسرعة مع الأخرى، ضحك لوغان عندما شاهد التحدي الصارخ في عملها هذا، وقال لها:
- تصبحين على خير، يا جيني غلين.
- تصبح على خير.
اطلقت كلماتها الثلاث هذه بنبرة قوية وصارمة، وكأنها تحذره للمرة الأخيرة من اي تصرفات سيئة محتملة. ادارت وجهها بعيداً

عن النار، نحو المنطقة المظلمة من الكوخ، ارتاحت لجو السكينة والهدوء الذي يخيم على تلك الغرفة الصغيرة، ولكن ذلك لم يدم طويلاً. فالرجل العجوز يتحرك في سريره بين الحين والآخر، والمقعد القديم الهزاز الذي يجلس عليه لوغان يئن ويتوجع تحت حمله الثقيل، والخشب المحترق يطلق اصواتاً معينة بين فترة واخرى، الا ان الرياح القوية التي كانت تعصف وتصفر في الخارج، كانت اكثر الأمور ازعاجاً لها، احست بان الباب سيقتلع من مكانه في اي لحظة، وان الكوخ بكامله سينتقل من موقعه.

تلاشت قواها وارتخى جسمها، ولكنها لم تتمكن من النوم. لم يكن الغطاء السميك كافياً للتخفيف من قساوة الأرض، فتألمت وتوجعت. وكانت الوسادة ايضاً صلبة كالحجر، فتلملمت وتعذبت. شعرت وكأنها تتوقع حدوث شيء ما... كتسلل لوغان الى الفراش واقترابه منها. ازداد توتر اعصابها عندما سمعته يقوم من الكرسي الهزاز. اصغت بانزعاج بالغ وهو يخلع الحذاء الكبير ويسير نحوها. اغمضت عينيها بسرعة. رفع الغطاء الخفيف و...! انتهى كل شيء! نام تحت الغطاء وحده، كما وعد!

استمعت بعناية بالغة الى طريقة تنفسه. كانت عادية جداً، وكان الرجل مستلقياً على ظهره. حبست انفاسها عندما بدأ يتحدث اليها قائلاً:

- نامي، يا جيني. سيكون كل شيء على ما يرام.

احست فجأة بانها آمنة، ولم تعد خائفة او مذعورة. ارتاحت اعصابها... وغطت في نوم عميق كانت تحتاجه الى درجة كبيرة.

- تبدين مرتاحة ونشيطة جداً هذا الصباح.

لاحظت انه يتأمل وجهها باهتمام شديد، مع انه كان يبتسم. تطلعت حولها نحو الاشجار والأرض المكسوة بالثلوج، وتمتمت

قائلة:
ـ لا يمكنني ان اصدق جمال هذه المنطقة وروعتها. لا اشعر بالبرد، وكأن هذه الطبقة السميكة من الثلج ليست الا كمية من المساحيق البيضاء الجافة.

حمل الأخشاب التي كان يجمعها، وقال:
ـ السبب الرئيسي هو توقف الريح الذي يلسع الأجسام.

ابتسمت وقالت:
ـ ثمة اغنية جميلة عن الثلوج في مثل هذه الحالة. انظر الى الاشجار، انها تبدو وكأن كمية كبيرة من السكر نثرت على اغصانها واوراقها! انظر الى اشجار الصنوبر هناك على قمة تلك التلة! يا لروعتها!

كان السرور واضحاً على وجهها وعينيها. شعرت بسعادة بالغة، وبأنها لم تعد مضطرة للتصرف بتحفظ وحذر كما في الليلة الفائتة. ثم شاهدت كومة جميلة من الثلج على الكوخ المنعزل، فشهقت وقالت بارتياح ظاهر:
ـ انظر، يا لوغان، الى كوخ السيد كارمايكل!

اقترب منها وقال لها باستفزاز لطيف:
ـ كنت بدأت اعتقد انك نسيت اسمي.

وجهت اليه نظرة سريعة، وهي مسرورة لأن وجنتيها كانتا محمرتين قبل سماعها تلك الكلمات... وقبل مشاهدتها تلك النظرات التي تبعث الدفء في جسمها وقلبها. قالت له بسرعة:
ـ ما اجمل الطبيعة! انظر كيف تجمع الثلج في تلك الزاوية وكأنه قالب كبير من الحلوى.

ابتسم لها لوغان بحنان، فيما كان يتأمل وجهها الناعم الصغير، وقال:

ـ اما انك لم تتناولي فطورك هذا الصباح، واما انك تحبين الحلوى الى درجة كبيرة!

ضحكت وقالت:

ـ من لا يريد قطعة كبيرة من الحلوى الآن؟ قطعة مغطاة بكمية لا بأس بها من هذا الثلج النقي الناصع البياض؟

وضع الأخشاب على الأرض وهو يبتسم بدهاء، ثم قال:

ـ يبدو انك لا تريدين شيئاً اكثر من الثلج.

صرخت به ممازحة، عندما شاهدته يعد كرة ثلجية صغيرة في يديه:

ـ لوغان تايلور، إياك!

ابتعدت عنه بسرعة، فيما كان يقذفها بتلك الكرة. ارتطمت بظهرها، وتناثرت على معطفها. انحنت لتعد كرة تقذفه بها، ولكنه كان اسرع منها بكثير. تساقطت عليها كميات الثلوج الصغيرة كالقنابل. احست وكأنها تواجه خمسة اشخاص دفعة واحدة. ركضت نحو الكوخ ضاحكة، ومحتجة على عدم وجود تكافؤ بين المتحاربين. اصابتها كرة في ساقها، فوقعت على تلة ثلجية صغيرة. ساعدها لوغان، فانقلبت على ظهرها وهي تضحك بسرور بالغ وتحاول ازالة الثلج عن وجهها. جلس قربها وراح ينفض الثلج عن جبينها وشعرها.

كان قريباً منها لدرجة مزعجة. انتبهت فجأة لوجودها على ذلك الشكل الذي يغري الرجل البارد... فكيف بالرجل الذي يضج حرارة! تحول ضحكها الى ابتسامة هادئة، وكررت له همساً كلمة، لا، مرات عديدة... فيما كانت تحاول الوقوف على قدميها. ولكنه امسك بذراعيها ومنعها عن النهوض، قائلاً بهدوء:

ـ كنت تتوقعين شيئاً كهذا منذ اللحظة الأولى. وانا بالتأكيد لا

اريدك ان تشعري بأي خيبة امل.

عانقها بطريقة قوية، مطالباً بتجاوب لم تكن راغبة في منحه. قاومت مشاعرها التي كانت تريد منها ان تتجاوب. لم تكن مستعدة لعناقه القوي والجنون، ولاحظت برعب وهلع ان عاطفتها رفضت الاذعان لأوامر عقلها. شهد عقلها وتفكيرها حرباً بين المنطق والعاطفة التي فازت ولو للحظات معدودة.

ابعدت وجهها عنه بسرعة، وخلصت ذراعيها من قبضته. تأملها لوغان بتأثر وهي تبتعد عنه، وقال:

ـ لا شك في انه عذبك كثيراً.

نظرت اليه باستغراب وسألته بصوت خافت:

ـ عمن تتحدث؟

ـ عن الرجل الذي تركته في منيابوليس.

لمح الغضب في عينيها، وهي تجيبه بحدة:

ـ لا، لم يعذبني. جهلي وسخافتي هما اللذان عذباني. لم اكن اعرف الذئب عندما يقف امامي. اعمتني الجاذبية والوسامة، والتصرفات اللبقة الساحرة.

ـ والآن؟

ردت عليه بسخرية واضحة:

ـ الآن... اصبحت ارى الحقيقة عبر الاقنعة والتظاهر والادعاء. وآمل في ان تكون اختي ايضاً قادرة على ذلك.

اقترب منها وكأنه يتهدد ويتوعد، ثم توقف فجأة عندما سمع صوت جرس صغير. تطلع بسرعة نحو مصدر الصوت وهو يتنفس ببطء وتمهل، ثم نظر الى ملامح التحدي والعنفوان في وجهها وعينيها وقال:

ـ انه كارمايكل. يبدو انه احضر حصانه ليجر لنا السيارة.

الأفضل ان تجمعي اغراضك وتستعدي للذهاب.

وما ان استدارت نحو الكوخ، حتى اضاف قائلاً:

ـ لا تتوقعي مني اي اعتذار. وان لم تكوني مرائية فسوف تعترفين بذلك.

حدقت به والدموع في عينيها، تحرقهما وتعذبهما. لماذا افسحت له المجال ليعرف بانه اعجبها؟ لماذا وضعت في يده هذا السلاح؟ صرخت بصوت مرتجف:

ـ من المؤسف جداً ان امثالك من الرجال يثيرون دائماً المشاعر الدنيئة! واكثر من ذلك، انهم يفرضون على النساء التحفظ الى درجة التقوقع والعزلة!

ركضت بسرعة نحو الكوخ، لأنها لم تكن على استعداد لخوض معركة كلامية معه... تعرف مسبقاً من سيكون المنتصر فيها. سرها الى حد ما انها تمكنت من انقاذ القليل من كبريائها وعزة نفسها.

ساعدهما كارمايكل في اعادة السيارة الى الطريق. وبعد ذلك، لم تستغرق المسافة القصيرة حتى جاكسون اكثر من عشرين دقيقة. انقشعت الغيوم بعض الشيء، فتمكنت جنيفر من مشاهدة الجبال الرائعة الجمال والأشجار التي تغطي منحدراتها كنقط سوداء متناثرة هنا وهناك.

دخلا البلدة الصغيرة الهادئة، فالتفتت نحوه وفي رأسها مجموعة كبيرة من الاسئلة التي تريد توجيهها... مع انها لم تكن راغبة في قطع حبل الصمت المخيم عليهما. قال لها لوغان بهدوء، وكأنه قرأ افكارها:

ـ تحمل هذه البلدة اسم صياد من الرواد الأوائل... جاكسون. كان ابناء الجبال قديماً يصفون جميع الوديان التي تحيط بها الجبال... بالحفر. وبما ان جيمي جاكسون كان يفضل الصيد هنا اكثر من اي

مكان اخر، بدأ رفيقه يسمي هذه المنطقة. . . حفرة جاكسون.
شعرت بأنها تريد معرفة المزيد من المعلومات عن هذه المنطقة، بغض النظر عن مصدر تلك المعلومات. سألته باهتمام:
ـ وماذا عن هذه الجبال، تيتون العظيمة؟ هل حصلت على اسمها من الهنود الحمر؟
اجابها وهو يحول سيارته الى شارع فرعي:
ـ لا، فالذي اطلق هذا الاسم على اعلى ثلاث قمم كان صياداً فرنسياً. سماها القمم الثلاثة، وسمى اعلاها القمة العظيمة.
تمتمت جنيفر ببضع كلمات مبهمة دلت على الحياء والخجل، ولكن لوغان تجاهل هذا الأمر وقال لها:
ـ سآخذك الى بيت شيلا الآن. انها ليست هناك على الأرجح، ولكننا ستتمكن على الأقل من وضع حقيبتك هناك.
اوقف السيارة بعد قليل امام منزل رائع الجمال، مصنوع من خشب الصنوبر. وما ان شاهد سيارة زرقاء اللون متوقفة امام مدخل البيت، حتى قال:
ـ هذه سيارتها. يبدو انك محظوظة.
حضر على الفور كلب قوي ضخم الجثة ينبح بحدة ويهز ذيله. ابتسم لوغان وقال لها، فيما كان يفتح باب سيارته لينزل:
ـ هذا هو اول عضو في لجنة الاستقبال.
سمرتها ابتسامته القوية المزعجة في مكانها بعض الوقت. احست بوضوح تام ان هذه لن تكون المرة الأخيرة التي ستضعف فيها امام رجولته وجاذبيته. امر لوغان الكلب بالجلوس، فشعرت ببعض الاطمئنان وفتحت باب السيارة لتنضم اليه. وفيما كان يلاعبه ويدلله، هجم عليه طفلان يرتديان ثياباً ملونة نظيفة. رمى الكبير نفسه بين ذراعي الرجل وهو يصرخ:

ـ خال لوغان، خال لوغان! قلقنا كثيراً بسبب هذا التأخير!

تأملت جنيفر بذهول ودهشة الترحيب الحار الذي لقيه لوغان، والطريقة التي حمل بها الطفلين الصغيرين وضمهما اليه بمحبة وحنان. قالت الصغيرة وهي تلثغ:

ـ اخبرتنا امي بأنك ستأتي ليلة امس.

ابتسمت جنيفر فوراً لدى سماعها لثغة ابنة اختها، سيندي. نظر لوغان نحوها بعينين جميلتين جذابتين، قال للطفلين:

ـ تأخرنا انا وخالتكما جيني بسبب عاصفة ثلجية. اضطررنا للانتظار حتى الصباح، قبل ان نتمكن من متابعة السفر. اين هي والدتكما الآن؟

قال اريك الصغير، فيما كان لوغان ينزله واخته الى الأرض:

ـ انها في الداخل. هل امضيت الليل بكامله في السيارة؟

داعب رأس الصبي بحنان ظاهر، وقال:

ـ لا، ايها الحبيب، امضيناه في بيت صغير مجاور. هيا الآن للترحيب بخالتكما قبل ان تتصور انكما لستما سعيدين بوصولها.

اطاعاه بتهذيب وتطلعا نحو جنيفر، وهما يتمتمان ببعض كلمات الترحيب المعتادة. لم تتوقع منهما اكثر من ذلك، لأنها لم تلتق بهما سوى مرات قليلة جداً منذ انتقال شيلا الى جاكسون. كيف يمكنهما ان يتذكرا انها حملتهما ساعات طويلة كطفلين صغيرين اثناء وجود امهما مع الأهل؟ راقبتهما باعجاب وهما يركضان الى البيت، يتبعهما الكلب الأمين داين وفجأة، سمعت لوغان يسألها بخبث واضح:

ـ هل فوجئت قليلاً بطريقة ترحيبهما بك؟

هزت كتفها باستخفاف، وقالت:

ـ لا، كنت اتوقع ذلك.

ـ يقال ان غريزة الكلاب والاطفال على حد سواء، ترشدهم

بطريقة صحيحة الى كيفية التصرف مع الناس.

ارادت ان ترد على سخريته اللاذعة بكلمات قاسية، ولكنها امتنعت عن ذلك عندما شاهدت شقيقتها تركض نحوها بشوق وتلهف صادقين. تعانقت الاختان بحرارة، وكانت جنيفر ممتنة جداً لأن شيلا بدأت توجه اسئلة متلاحقة وهي لا تنتظر اكثر من نعم او لا. ادخلتهما شيلا الى البيت، وطلبت من لوغان ان يضع الحقيبتين في اي مكان يجده مناسباً. ثم قالت لهما:

ـ القهوة جاهزة، ولدي ايضاً بعض الحلوى اللذيذة في المطبخ. من المؤكد انكما لا تمانعان بفنجان قهوة قبل الغداء.

ـ اعذريني، يا شيلا، فمن المؤكد ان امي قلقة علي. يجب ان اذهب فوراً لرؤيتها، قبل توجهي الى المزرعة.

اصرت على بقائه، قائلة بشيء من التوسل والمناشدة:

ـ اوه، يمكنك الاتصال بها من هنا.

ضحك لوغان، فيما كان يتأمل شعر شيلا الأسود وعينيها الجميلتين وقال:

ـ انها من الأشخاص الذين يفضلون رؤية الانسان على سماع صوته عبر الهاتف. بالاضافة الى ذلك، فانت وجيني تريدان الاختلاء ببعضكما قليلاً قبل ذهابك الى الفندق.

ضحكت شيلا وقالت:

ـ جيني؟ هل قلت جيني؟

ثم نظرت نحو اختها وقالت لها بمرح ظاهر:

ـ اوه، لا شك في انك مسرورة جداً بهذه التسمية الجديدة.

تطلع لوغان بجنيفر ملياً، فيما كان الغضب العارم جلياً في ملامحها، وقال:

ـ تكونت لكل منا، جيني وانا، انطباعات معينة عن الآخر.

كانت رحلة من العمر، لا استبدلها بأي شيء.

ثم ابتسم بخبث، وقال:

- يجب ان اذهب الآن، يا شيلا.

تدخل اريك متوسلاً:

- لا تذهب، يا خال لوغان. سيندي وانا نريدك ان تبني لنا قلعة من الثلج... طالما ان الطفل نائم ولن يزعجنا.

اجابه باصرار، ولكن بنعومة ومحبة:

- مرة اخرى، ايها الحبيب.

تنهدت شيلا، ثم امسكت بيديه وقالت:

- بما انك فعلاً ستذهب، فدعني اشكرك على استقبال جنيفر واحضارها الى هنا.

راقبت جنيفر بألم مزعج، كيف رفعت اختها نفسها قليلاً وطبعت قبلة ناعمة على وجه لوغان. احست بان مخاوفها لم تكن اوهاماً او من نسج الخيال. اختها متورطة عاطفياً مع هذا الرجل. ارادت ان تهجم عليه وتقلع عينيه الساحرتين من مكانهما، عندما استدار نحوها وودعها قائلاً:

- الى اللقاء، يا جيني غلين. سأراك في وقت لاحق.

رددت شيلا هذا الاسم باستغراب، بعد ان غادر لوغان بيتها واغلق الباب وراءه. قطبت جنيفر حاجبيها قليلاً، وقالت:

- ارجوك! يكفيني ازعاجه هو!

ابتسمت شيلا وقالت:

- احب اسم الدلال هذا، فله رنة موسيقية. جميلة. استغرب جداً كيف اننا لم نفكر ابداً بمناداتك على هذا النحو.

عقدت جبينها غضباً واستياء، لأنها احست بان اختها توافق على كل شيء يفعله لوغان او يقوله. مارست ضبط النفس، وقالت

لأختها:

ـ ربما لأن الوالدة لا تحب تصغير الاسماء او تدليلها، وانا اوافقها على ذلك تماماً.

ـ خالتي جيني، هل تحبين رؤ ية غرفتي؟ لدي العاب مسلية وجميلة جداً.

تدخلت الأم على الفور، قائلة بمزيج من الجدية والمرح:

ـ يجب ان تتعلمي اولاً لفظة السين بشكل صحيح. في اي حال، خالتك متعبة الآن وبحاجة للراحة. اذهبي مع اريك الى الخارج، وخذي معك داين.

ثم امسكت بيد اختها، وقالت لها بحنان:

ـ تعالي معي الى المطبخ لنشرب القهوة، وبعدها نتحدث عن كل شيء.

لم تطلع جنيفر شقيقتها على كافة التفاصيل، وخاصة فيما يتعلق بلوغان تايلور. كيف يمكنها ان تخبرها عن تلك القصة المخجلة التي حدثت في المساء، او عن ذلك العناق الذي تبادلاه صباح هذا اليوم؟ لاحظت ان شيلا تضعه في مكانة رفيعة وتنظر اليه باعجاب كبير. لم ترغب في ان تعمل فوراً على تغيير رأي اختها به. حولت الحديث بسرعة ولباقة الى الأولاد والفندق، والحياة في جاكسون.

حدثتها شيلا عن ترددها في اخذ اولادها باستمرار الى والدي اريك، وخاصة في نهاية الاسبوع او اثناء العطل المدرسية... كما هو الحال في الوقت الراهن. فهما شخصان متقدمان في السن، ويجدان صعوبة كبيرة في الاهتمام بهذين الشقيين... علماً بانها تأخذ الطفل الصغير معها معظم الأحيان. تبرعت جنيفر بسرور ان تهتم بالأولاد الثلاثة معاً، وبأن تحل محل اختها بين الحين والآخر في الفندق كي ترتاح قليلاً من عملها.

ساعدت الأيام التالية في شد الروابط بين جنيفر واختها من جهة، ومع الأولاد من جهة اخرى. وجدت متعة كبيرة في اعداد الطعام لعائلة كبيرة، وفي ترتيب البيت وتنظيف الثياب... وفي تحمل الكثير من الأعباء التي كانت ترهق كاهل اختها. اما بالنسبة لبرادلي سيتفسن، فقد شعرت بسرعة انه اصبح طي النسيان... صفحة قديمة من الماضي.

تمنت لو انها تجد سهولة مماثلة في تناسي لوغان تايلور. ولكنها كيف ستتمكن من ذلك! فاسمه دائماً على لسان الأولاد جميعهم... يتحدثون عنه باستمرار، يرددون ما يقوله بالنسبة لهذا الموضوع او ذاك، يطالبون به، ويسألون عنه. وعندما يغيبون، تذكرها به شيلا... هكذا قال، هكذا اقترح، هكذا يعتقد!

مضت ثمانية ايام على وجودها في جاكسون بدون ان تراه. كانت ممتنة لأنها، على الأقل، لا تتعرض لملاحظاته اللعينة وابتساماته الساخرة. ولكنها اعترفت لنفسها بأن صورته تلاحقها باستمرار... ربما لأن الجميع يذكرونها به، بطريقة او باخرى.

لم تكن شيلا مضطرة للذهاب الى عملها بعد ظهر هذا اليوم، فاصرت على اختها بأن تخصص هذا الوقت لأمورها الخاصة. قبلت جنيفر بتردد، وقررت ان تزور بعض المحال التجارية لابتياع هدايا الميلاد. لم تجد صعوبة في اختيار هدايا الأولاد، ولكنها ارادت ان تمضي بعض الوقت قبل شراء هدية مناسبة لأختها.

حملت جنيفر علب الهدايا وذهبت الى ساحة البلدة. توقفت قليلاً امام القنطرة التي تغطيها قرون الوعول والظباء، وراحت تتأملها باعجاب منقطع النظير. علمت في وقت سابق ان رؤوس هذه الحيوانات وقرونها تستخدم في جاكسون كأدوات للتزيين والتجميل، وتذكرت قاعة الفندق الذي تعمل فيه شيلا، مزينة بقرون الأيائل.

ـ لا تحاولي عدها، فهي كثيرة جداً.

استدارت جنيفر بسرعة لتواجه لوغان تايلور، ينظر اليها بعينين فاحصتين. التقطت انفاسها، وقالت له بحدة:

ـ لم اكن اعدها.

ـ حسناً. كنت اذن تتأملين باعجاب هذه الطريقة الفريدة التي نعتز بها هنا في جاكسون!

ـ نعم، هذا ما كنت افعله بالضبط. اني اجدها فعلاً مثيرة للاعجاب.

ـ هكذا يعتبرها معظم الناس. هل تعرفين انها جميعاً قرون ايائل؟

ابتسمت رغماً عنها وسألته بهدوء، وهي ترفع نظرها مرة اخرى الى القنطرة:

ـ كيف تم جمع مثل هذا العدد الكبير؟

ـ ليس هناك اية صعوبة حقاً. فالى الشمال من هذه البلدة، تقع منطقة تلجأ اليها الايائل اثناء الشتاء. والمعروف ان ذكور الوعول تتخلى كل سنة عن قرونها، لتنمو مكانها قرون جديدة.

ضايقتها نظراته الدافئة المغرية، فتوترت اعصابها وتسارعت دقات قلبها. حاولت جاهدة ان تبقي الحديث عاماً وبعيداً عن الأمور الشخصية، فقالت:

ـ سمعت احداً يتحدث عن تلك المنطقة، ولكنني لم اعرها اهتماماً يذكر. كم من الوعول تلجأ اليها كل شتاء؟

ـ ما بين ستة وثمانية الاف.

ـ اوه، الى هذه الدرجة؟ وماذا يفعلون بكل هذه القرون؟

ضحك لوغان وقال:

ـ الذكور وحدها هي التي لها قرون. يذهب افراد الفرق الكشفية كل ربيع ويجمعون هذه القرون، ثم يبيعونها هنا في ساحة البلدة بمزاد

علني يخصص ريعه لتطوير فرقهم ونشاطاتهم.

توقف فجأة، فنظرت اليه لتواجه بنظرات قوية جذابة جمدتها في مكانها. تأملها قليلاً، ثم قال:

- البرد شديد في هذه الزاوية. تعالي واشربي معي فنجاناً من القهوة الساخنة.

لم تكن راغبة ابداً في الجلوس معه، هزت رأسها بتردد، وقالت:

- انا... انا...

- خائفة؟

. اجابته بحدة، بعد ان استعادت فجأة صوتها الذي كادت تفقده قبل قليل:

- طبعاً لا!

- سنذهب الى ذلك المطعم الشعبي في آخر الشارع، حيث يمكنك ان تشاهدي المتزلجين على منحدرات الجبل.

وافقت بتردد، لأنها لم تجد عذراً مقنعاً لرفض تلك الدعوة البسيطة. انبت مشاعرها التي كانت تطالبها بالذهاب معه. طوق خصرها بذراعه وسار وإياها نحو المطعم. ابتسم وقال لها:

- سوف تشربين الآن قهوة اخف بكثير من قهوة كارمايكل، يا جيني غلين.

- لا تناديني بهذا الاسم! انك فعلاً متعجرف ومتغطرس!

- تصورت انك ستعاملينني برقة. يقال ان البعد يجعل القلب اكثر مودة وحناناً.

- لم تكن بعيداً الا نادراً.

كان جوابها بارداً وجافاً. رفع حاجبيه استغراباً، وهو يساعدها على الجلوس، فشرحت له ما عنته بتلك الملاحظة. قالت:

- ان لم تتحدث شيلا بصورة دائمة عن شخصيتك القوية ومزاياك

الفذة، فالأولاد يرهقون اعصابي بالثرثرة عن الخال لوغان. لماذا يستخدمون معك هذا اللقب؟ هل هذه هي فكرتك، يا ترى؟

ـ لا، انها فكرة الأولاد انفسهم. لم نجد انا وشيلا اي ضرر في ذلك. اتصور انهم ارادوا اعتباري عضو شرف في عائلتهم. انهم ينظرون الى هذا الأمر بصورة جدية، وانا كذلك.

تأملته لفترة وجيزة، ثم ركزت اهتمامها على فنجان القهوة الذي احضرته النادلة.

ـ لماذا تحاولين جاهدة ان تحللي شخصيتي، يا جيني؟ لماذا لا تقبلين بما تشاهدين؟

ـ يقال ان الذي يلدغ مرة، يخجل مرتين.

ـ صحيح، ولكنني لم احاول ابداً ان الدغك.

ـ هل تقول لي الآن ان رجلاً مثلك لا يحاول الايقاع بكل فتاة يلتقيها؟

ـ هل تسألين عن ذوات الشعر الأشقر المحمر ام عن الفتيات بصورة عامة؟ اتخيل انك تصورين نفسك بعد عناقنا على الثلج، وكأنك امرأة وقعت في الشرك. لا، يا عزيزتي. كان مجرد عناق، لا اكثر ولا اقل.

تمنت لو ان بامكانها توجيه صفعة قوية الى وجهه، لازالة تلك الابتسامة الساخرة الخبيثة. ارتجف جسمها غضباً، ونظرت اليه بعينين تقدحان ناراً. ابتسم وقال:

ـ مسكينة انت، يا جيني غلين. تشعرين بالاهانة واحتقار الذات، وجهك رمز للطفولة البريء لكن وحشاً يتململ وراء النار التي تشتعل في داخلك! الحقيقة هي انني اتمتع الى درجة كبيرة بازالة هذه النظرة الطاهرة من وجهك الجميل.

ـ اذن، دعني اقترح عليك ان تجد شخصاً اخر تتسلى معه. . .

لأنني في الحقيقة اجدك مزعجاً للغاية.

حملت اغراضها واستعدت لمغادرة المطعم. لم تتغير ملامحه، ولكن صوته كان حازماً عندما قال لها:

- انهي قهوتك ، يا جنيفر.

سيجد متعة كبيرة لو انها عصت... اوامره... وخرجت بعصبية من ذلك الباب. سيطرت على توترها واعادت علب الهدايا الى الأرض، ثم راحت تتأمل المتزلجين على الجبل. سألها بهدوء عما اذا كانت ماهرة في التزلج، فقالت له انها هاوية ذات خبرة واسعة. قال لها بصوت ناعم ينم عن شعور بالصداقة:

- يجب اذن ان نجد الفرصة للتزلج، اثناء فترة وجودك هنا.

- لست بحاجة الى مرافق عندما اذهب الى التزلج.

- ما تعنين حقيقة هو انك لا تريدين وجودي انا، يا جيني غلين. حسناً، ولكن لا تذهبي الى تلك المنحدرات وحدك في المرة الأولى. خذي معك شخصاً خبيراً من هذه المنطقة. في اي حال، اذا كنت مستعدة للذهاب . . . فهيا بنا. سيارتي موجودة في الخارج، واريد التحدث مع شيلا. تأكدي بأن هذا هو هدفي الوحيد لأخذك الى البيت.

اغاظها جداً تصرفه العادي المفاجىء. بدا وكأنه يريد ابلاغها صراحة بأنه غير مهتم كثيراً بها. احمرت وجنتاها غضباً وخجلاً وهما يغادران المطعم... وقررت ان تعامله بمثل الاستخفاف الذي يعاملها به.

٤ - عربة الذئب!

امسك بمرفقها خوفاً من انزلاقها، وقال لها:

- هذه هي السيارة.

رفعت جنيفر رأسها، وهي تتوقع وجود السيارة ذاتها التي حضرها بها الى جاكسون... اللاند روفر المخصصة للطرقات لجبلية الوعرة. ولكنها شاهدت سيارة فخمة بيضاء من طراز كونتيننتال. ظهرت الدهشة على وجهها، فقال لها:

- ابقيها اثناء الشتاء عادة في المرآب، ولا استخدمها الا مرات قليلة لتظل في وضع جيد.

فتح لها الباب، واضاف ضاحكاً:

- اضافة الى ذلك، اجد صعوبة في معرفة مكان وجودها اثناء العواصف الثلجية لأنها بيضاء.

دخلت السيارة، واعجبتها على الفور مقاعدها المغطاة بالجلد الأسود الفاخر. شعرت بأنه ينتظر رد فعلها بالنسبة للسيارة. كان من الواضح انه يتوقع منها اطراء او ثناء. ابتسمت له عندما جلس وراء المقود، وقالت بحلاوة مصطنعة:

- لا ارى كيف يمكنك ان تواجه اية صعوبة في ايجادها. ما عليك الا ان تنظر الى داخلها، فترى انها سوداء مثل قلبك.

ضحك من صميم قلبه، لمس وجهها برقة وقال:

- كنت اعرف انك لن تتمكني من ابقاء هذا اللسان السليط مقيداً وساكناً لفترة طويلة.

ابعدت وجهها عنه وراحت تنظر خارجاً، وهي تأنب نفسها. كان عليها ان تعرف جيداً انه لا يبالي بانطباعاتها عن سيارته. لم يكن ينتظر شيئاً سوى اغاظتها، ومن المؤكد انه نجح في ذلك الى درجة كبيرة.

وصلا بعد دقائق معدودة الى بيت شقيقتها، ففتح لها الباب وحمل عنها علب الهدايا. هجم عليه الأولاد الثلاثة بلهفة وشوق، وقال كبيرهم اريك بسعادة بالغة:

- هل احضرت لنا هدايا الميلاد منذ الآن.

ذاعب شعره الأسود الجميل، وقال:

- لا يا حبيبي. هذه هي الهدايا التي ابتاعتها جيني. انا اساعدها فقط في حملها. قالت له سيندي وهي ترقص فرحاً:

- احضرنا شجرتنا، يا خال لوغان. انها في غرفة الغسيل. قالت امي انها يجب ان تجف اولاً قبل ان نزينها. تعال لأريك اياها.

امسك اريك بيد جنيفر، فيما كانت يده الاخرى لا تزال ممسكة بأخيه الصغير، وقال مناشداً:

- تعالي انت ايضاً، يا خالتي جيني.

- جنيفر، يا أريك! جنيفر!

ظهر الانزعاج قليلاً في صوتها وهي تصحح له اسمها، لأن الأولاد يصرون على التشبه بلوغان. لم تسمع سيندي كلمات خالتها، او انها سمعتها وتجاهلتها، إذ انها كررت دعوة شقيقها قائلة:

- نعم، تعالي يا خالتي جيني.

- بعد قليل.

كان آخر شيء تريده في ذلك الوقت، هو وجودها مع لوغان في غرفة صغيرة. خرجت شيلا في تلك اللحظة، وهي تجفف شعرها.

وعندما شاهدت لوغان، قالت له بلهفة:
ـ لوغان! لم اتوقع مقابلتك بعد ظهر هذا اليوم.
نظر اليها بجدية، وليس بسخرية وخبث كما يفعل معظم الوقت مع اختها، وقال:
ـ اريد ان اطلعك على بعض الأمور، ولكني سأذهب اولاً لمشاهدة الشجرة.
ابتسمت لجنيفر بحنان ومحبة، وقالت:
ـ يا لها من شجرة! اختارها الأولاد واصروا عليها. انها قليلة الأغصان الى درجة مؤسفة. قالت سيندي ان ما من احد سيبتاع هذه الشجرة، وانها ستظل وحيدة طوال فترة الأعياد ان لم نأخذها نحن. وهذا ما فعلناه بالضبط.
ضحكت جنيفر، مع انها تأثرت بذلك التصرف النبيل لطفلة لم تتجاوز الخامسة من عمرها. قالت لأختها:
ـ الأولاد مسرورون بها، وهذا هو المهم.
ـ هل اشتريت كل حاجياتك؟
هزت جنيفر رأسها وهي تخلع معطفها وتعلقه في مكانه. اضافت شيلا:
ـ لم اكن اتصور بانك ستحضرين لوغان الى البيت، والا لكنت تأخرت بعض الوقت في غسل شعري.
سارعت جنيفر الى توضيح الأمر، مخافة ان تعتقد اختها بانها ذهبت خصيصاً لمقابلته.
قالت لها:
ـ التقيته صدفة في ساحة البلدة، وقد اصر على احضاري الى البيت.
ـ هذا لطف منه.

وافقتها جنيفر على رأيها بدون حماسة تذكر. تطلعت شيلا نحو غرفة الغسيل، ثم قالت لأختها التي ذهبت الى المطبخ:
- اشعر احياناً بالذنب لأن الأولاد يأخذون الكثير من وقته وانتباهه. ولكنه، على الارجح، لا يرى اي ازعاج من ذلك. اتصور انه يجد متعة كبيرة في. . . .
توقفت فجأة عن اكمال جملتها، ونظرت الى جنيفر قائلة:
- هل تذكرين تلك اللعبة التي كنا نحبها كثيراً؟ لعبة اختيار اوصاف لأحد الاشخاص بناء على الاحرف الأولى والأخيرة من اسمه؟ لوغان تايلور! كلما فكرت به، ترن في رأسي هذه الكلمات الأربع. . . لياقة، نبل، تهذيب، وروعة. انه يساعدني انا والأولاد بشكل لا يصدق.
ابعدت جنيفر وجهها بسرعة عن اختها، مخافة اظهار استغرابها ودهشتها. فلو انها هي التي ستختار اربع كلمات تصفه بها، لقالت لؤم، نذالة، تعجرف، ورياء! التفتت نحو اختها بسرعة، وسألتها:
- هل تريدين فنجاناً من القهوة؟
ارادت ان تغير الموضوع قبل ان يتطور الى تفاصيل ليست راغبة ابداً في الخوض بها.
سمعت صوتاً وراءها يقول:
- نعم، نصف فنجان.
ضحكت شيلا وسألت لوغان فور دخوله المطبخ:
- كيف وجدت تلك الشجرة الرائعة النادرة؟
- اكدت لي سيندي بانها ستكون جميلة، ولكني اخشى بان معظم اغصانها غير قادرة على حمل الزينة المعتادة.
جلس قرب شيلا ومد رجليه الى الأمام، بحيث اضطرت جنيفر للمرور فوقهما لتضع الفناجين على الطاولة الصغيرة. ارتجفت يدها

قليلا، ولكنها رفضت ان تنظر اليه. دخلت سيندي وقالت لامها بلثغتها الجميلة:

- يقول الخال لوغان اننا قد نجد صعوبة في تزيين الأغصان، ولكني اعتقد انه مخطىء. يمكننا ان نجعلها جميلة جداً.

تدخل اريك قائلاً بلهجة تنم عن الخوف الى حد ما:

- واذا تكسرت هذه الأغصان الضعيفة، فكيف سنزينها؟ اني نادم على قبولي اقتراح سيندي.

لاحظت جنيفر بان سيندي بدأت تعقد جبينها، فقالت:

- يمكننا ان نزينها بحبال من الأوراق الملونة، وننثر عليها كمية من الذرة المسلوقة.

ابتسم لوغان وقال:

- ولكن تأكدوا من ان داين لن يأكل الذرة.

- اريك، لنأخذ داين كي يراها. هيا، لنذهب الآن.

خيم الصمت على المطبخ بعد ذهاب الأولاد، الى ان قال لوغان لشيلا:

- ذهبت الى الفندق هذا الصباح، واكتشفت ان احدث نزيل فيه لم يكن الا ديرك هاملتون.

اصفر وجه شيلا واصبح كالمنشفة التي تلف بها رأسها. ارتجفت يدها وهي ترفع فنجان القهوة نحو شفتيها. حاولت جاهدة السيطرة على اعصابها ونبرات صوتها، وسألته بهدوء مصطنع:

- حقاً؟ ماذا يفعل هنا في مثل هذا الوقت من السنة؟

- قال انه سيعمل على لوحة او اثنتين عن جبال تيتون في الشتاء.

ذهلت جنيفر عندما شاهدت الاهتمام الحقيقي والجدي الذي ظهر على وجهه، وهو يراقب رد فعل شيلا. وقفت اختها وسارت نحو الباب، فقال لها:

ـ اسمعي، يا شيلا. سأطلب منه ان ينزل في مكان آخر، اذا كنت تريدين ذلك.

ردت عليه شيلا بلهجة احست جنيفر انها ليست صادقة. قالت:

ـ لا تكن سخيفاً، يا لوغان. لماذا نتركه ينفق بعض امواله في فندق آخر بدلاً من فندقنا؟ في اي حال، لم يعد وجوده يهمني اطلاقاً. اضف الى ذلك، انني كنت انوي اخذ جنيفر معي غداً الى الفندق لاطلاعها بعض الشيء على العمل الذي اقوم به. كذلك، فان والدي اريك مشتاقان جداً للأولاد. يمكن لجنيفر ان تحل مكاني غداً!

شعرت جنيفر فجأة بعيني لوغان تتحولان اليها. لاحظت انها تقف بذهول رداً على كلمات شيلا الاخيرة. كان الاتفاق بينهما ان تعمل جنيفر بعض الوقت، اذا غابت احدى العاملات او صرفت. ولكن اختها تتحدث الآن عن عمل بصورة شبه تامة. من هو هذا الرجل اللعين، ديرك هاملتون؟ نظرت الى شيلا، فرأتها تتطلع بها متوسلة راجية... فيما كان لوغان يحدق بها، منتظراً جوابها او تعليقها.

ـ انها... انها فكرة... لا بأس بها.

تلعثمت بكلامها، ولكن اختها تنهدت بارتياح ظاهر. اما لوغان فلم يبد مقتنعاً كثيراً برغبتها الصادقة، فأضافت قائلة بلهجة مرحة:

ـ انها فرصة مناسبة جداً، لأنني كنت على وشك ان اصاب بالضجر والملل. انفقت مبلغاً كبيراً من المال على الدراسة والتدريب على العمل، ومن المخجل ان يذهب المال والتعليم هباء.

تطلع لوغان بشيلا وسألها بهدوء، يحمل بعض الحدة:

ـ هل هذا ما تريدينه، يا شيلا؟

لاحظت جنيفر ان اختها متوترة الأعصاب الى درجة فائقة، فتدخلت على الفور قائلة:

ـ الم تقل لك ذلك قبل قليل، يا لوغان؟

تجاهل كلمات جنيفر، فيما بدا التوتر والانزعاج بوضوح في ملامح وجهه وفي عينيه. توجه نحو الباب وهو يقول:

ـ اعتقد انك ترتكبين خطأ، يا شيلا. ليس لدي الآن الوقت الكافي لبحث هذا الموضوع.

تذكرت جنيفر ان تشكره على احضارها الى البيت، ولكن اهتمامها كان مركزاً بصورة تامة على اختها المعذبة. اغلق لوغان الباب الرئيسي وراءه، فتخلت شيلا عن الهدوء المصطنع. مدت يدها بعصبية الى المنشفة التي تلف بها رأسها، وقالت:

ـ يجب ان اسرح شعري قبل ان يجف تماماً.

ـ من هو ديرك هاملتون، يا شيلا؟

ردت عليها، متظاهرة بأن المسألة عادية للغاية:

ـ مجرد فنان، كان هنا في الصيف الماضي لاعداد بعض اللوحات الزيتية. اقتحم الأولاد الثلاثة وداين باب المطبخ في تلك اللحظة، فقالت لهم:

ـ كم مرة قلت لكم ان تبقوا الكلب خارج البيت، عندما يكون ملوثاً بالوحل على هذا الشكل؟

تسمر الأولاد في مكانهم، بسبب اللهجة القوية القاسية التي لم يعتادوا عليها سابقاً. سيطرت شيلا على اعصابها، وقالت لهم بصوت اقل حدة:

ـ هيا! اخرجوه من هنا فوراً!

اطاعها الأولاد بسرعة، ولكن جنيفر تضايقت من ملامح الارتباك والذهول التي بدت على وجوهم الصغيرة البريئة. تطلعت نحو اختها، فلاحظت انها ندمت على تصرفها القاسي معهم.

ـ شيلا؟

قالت لها اختها بحدة، وبشيء من المرارة:

ـ اسمعي! كل ما في الأمر انه ابدى اهتماماً ببعض لوحاتي. انا لم اطلب منك ابداً ان تحدثيني عن برادلي وعليه، ارجو ان . . . لا اريد التحدث عن هذا الموضوع!

احست جنيفر لأول مرة في حياتها بوجود صمت متوتر بينهما. . . صمت لا تعرف كيف تتخطاه او تتجاوزه، فيما اختها تعرف ولكنها ترفض.

لم تكن المهام الموكلة اليها صباح اليوم التالي، كموظفة استقبال في الفندق، صعبة او معقدة. ولكن كثرة عدد المتزلجين ومطالبيهم المتعددة، لم تمنحها فرصة للراحة. كانت توق طوال الوقت لرؤ ية نزيل الغرفة ٢٢٨، ولكنه لم يقترب منها او يتصل بها. وما ان بدأت تتحدث مع كارول ، المسؤ ولة عن الاتصالات الهاتفية، حتى لاحظت ان رجلاً يتأملها بدقة وعناية. كان متوسط الطول، بدينا الى حد ما، وذا شعر اسود كثيف. اعتذرت من زميلتها، وتوجهت نحوه باسمة لتسأله عما اذا كان بحاجة الى اي شيء.

انتبهت في تلك اللحظة الى ان لوغان دخل القاعة، واخذ يتفحص الموجودين بسرعة. وصل الى الرجل قبلها، ومد يده لمصافحته قائلاً:

ـ اسعدت صباحاً، يا ديرك.

اوه، انه ديرك هاملتون! تأملت الرجلين وهما ينظران الى بعضهما بكثير من التحدي. اذهلتها الطريقة التي تأمل بها لوغان ذلك الرجل. لم ينظر اليه بود او بعداء، بل بدا وكأنه يدرس احتمالات النجاح والخسارة في حال حدوث تصادم بينهما. قال له لوغان بلهجة عادية:

ـ احببت ان اراك لأعرف متى تبدأ رحلتك الى جبال التيتون.

ـ عندما يكون ذلك مناسباً.

كان جوابه يوحي باللامبالاة. . . وكذلك وجهه عندما تطلع نحوها. تأمل وجهها وشعرها مرة ثانية، بدون ان يظهر عليه اي اهتمام بها كامرأة، وقال:

ـ انت جنيفر.

استغربت جداً كيف انه عرفها، وهزت رأسها بالايجاب. اضاف قائلاً:

ـ شاهدت لوحة زيتية عنك. لم تتمكن شيلا من اعطاء لون شعرك حقه كاملاً. انه ذهبي كأشعة الشمس، تتخلله ومضات الغسق النارية. لم يكن اللون النحاسي، الذي استخدمته اختك، مناسباً ومطابقاً. فلون شعرك ارق وانعم من ذلك بكثير..وهو يناسب نعومة ملامحك الملائكية.

احمر وجهها قليلاً بسبب هذا الاطراء غير المتوقع، ولكنها وجهت نظرة تحذير الى لوغان رداً على ابتسامته الساخرة. وشعرت بانقباض شديد، عندما سمعته يقول:

ـ قد تكون الملامح ملائكية، يا ديرك، ولكن الفتاة نفسها ليست كذلك. انها مزيج من الملائكة والجن.

تجاهل ديرك ملاحظته ومد يده نحوها لمصافحتها، قائلاً:

ـ انا ديرك هاملتون. ربما اخبرتك شيلا عني؟

كانت كلماته ولهجته تحمل اكثر من مجرد سؤال عادي. صافحته وقالت:

ـ لا، آسفة، لم تخبرني.

لاحظت في وجهه مسحة خفيفة مما يشبه الألم، فأضافت على الفور:

ـ قالت لي انك كنت مهتماً ببعض اللوحات التي اعدتها. هل

شاهدت صورتي آنذاك؟

ـ نعم. كان شعرك اطول بكثير مما هو عليه الآن، ووجهك ضاحكاً بطريقة خلابة وجذابة جداً.

كان لا يزال يتأملها بدقة وروية، وكأنه يقارن بين اللوحة والواقع. ابتسمت جنيفر وقالت له، وهو يقف امامها الآن وجهاً لوجه:

ـ اوه، نعم، كان ذلك قبل سنوات عديدة.

تأملت جنيفر الرجل الواقف امامها، فلاحظت ان ملامحه لم تكن وسيمة بل قوية وحادة. الا انه لم تكن في وجهه تلك الجاذبية الساحرة، التي تضج بها ملامح لوغان. ومع ذلك، كان يبدو رجلاً يمكن الاعتماد عليه. نعم، انه رجل يعتمد عليه.

ـ لوغان! هل توقفت شيلا عن العمل هنا؟

رد عليه لوغان ببرودة ودهاء واضحين:

ـ فضلت ان تحل جيني محلها. . . في الوقت الحاضر، على الأقل.

لاحظ ديرك وجنيفر التشديد على الجزء الأخير من الجملة، والايحاء الجلي بان الفنان نفسه هو سبب التغيير الحاصل حالياً. نظر اليها ديرك مجدداً، وكان اهتمامه هذه المرة شخصياً. . . بما في ذلك ملاحظته عدم وجود خاتم خطوبة او زواج. سألها بهدوء:

ـ ما رأيك بالفنانين، يا جنيفر؟

ـ يجدر بي ان احبهم، فأختي منهم.

ـ حقاً؟ كان لدي انطباع انها تدير فندقاً صغيراً، وانها ارملة مكافحة لديها ثلاثة اولاد. تصورت ان الرسم بالنسبة اليها تسلية لتمضية اوقات فراغها القليلة والنادرة.

تدخل لوغان فوراً قبل ان تضطر جنيفر للرد بقساوة على الرجل، الذي تصورت انه يعجبها، قال:

ـ لماذا لا نذهب الان الى المقهى، يا ديرك، لنبحث في موضوع رحلتك؟

ـ لما لا؟ ستبدأ انت على الفور باستخدام قدراتك التنظيمية الهائلة وسحرك المقنع لحملي على اعداد نفسي للرحيل في اسرع وقت ممكن، اليس كذلك؟

ـ هناك مرارة واضحة في كلماتك ونبرتك، يا ديرك.

دهشت جنيفر، في الاسبوع الذي مر بعد ذلك اللقاء، من كيفية محاولات اختها لتجنب هذا الرجل. تصورت ان لديها حاسة سادسة تحذرها منه، اذ كانت تختفي قبل دقائق من وصوله ولا تحضر الا بعد ذهابه. اما ديرك، فقد بدا ان اسم شيلا غير موجود في قاموسه على الاطلاق. لم يذكر اسمها ابداً ولم يعد يتحدث مع جنيفر الا نادراً. . . وبصورة عامة وعادية. سألتها كارول مرة عما اذا كانت شيلا مسرورة بعودة السيد هاملتون. اجابتها جنيفر بانها حقاً لا تعرف، واستفسرت من كارول عن سبب ذلك السؤال فأجابتها:

ـ كانت تبدو سعيدة معه في الصيف الماضي. يتناولان الطعام او يشربان القهوة معاً اثناء النهار، وكان يأخذها ليلاً الى البيت. خيل لبعضنا احياناً ان شيئاً ما يحدث بينهما. اعني. . . لم نتحدث عنهما بشكل ثرثرة او ما شابه. اختك انسانة طيبة جداً، ونحب العمل تحت امرتها. يحزننا جداً، كما تعلمين، ان تكون ارملة مع ثلاثة اولاد. . . ونتمنى لها ان تجد شخصاً يناسبها.

سألتها جنيفر بلباقة عما حدث، فقالت الفتاة:

ـ اعتقد انهما لم يتوصلا الى اي شيء. فجأة، دفع ما عليه وترك الفندق. بالطبع كان لوغان. . . اعني السيد تايلور. . . بعيداً معظم الوقت الذي امضاه السيد هاملتون هنا.

ـ وما علاقة هذا الأمر بذاك، يا كارول؟

ـ ربما مجرد صدفة. اوه، السيد تايلور! لا الوم شيلا ابداً اذا

اعجبت به الى درجة كبيرة. لا شك في ان كل فتاة تقريباً في هذه المنطقة اعجبت به في وقت ما. . . اعترفت بذلك ام لم تعترف. لديه جاذبية ساحرة! اعني ان كل فتاة غير مرتبطة حاولت بطريقة او باخرى معرفة ما اذا كان لديها اي شيء يثير اهتمامه بها.

- واذا نجحت بذلك، فماذا يحدث عادة؟

- مواعيد، مواعيد! تصبح الفتاة المحظوظة هدفاً لابتسامته الساحرة الدافئة، ونظراته المداعبة التي تجعلها تظن نفسها انها الامرأة الوحيدة التي تعجبه. عندما تولت اختك في الفترة الأخيرة إدارة الفندق، اصبح عدد الفتيات اقل وفترات المواعيد اكثر تباعداً. لا يعني هذا ان اياً من الفتيات اعترفت لها بالنصر النهائي.

هزت جنيفر رأسها وهي تشعر بالامتنان، لأن الحياة دبت من جديد في هاتف الفندق. . . مما ارغم كارول على التوقف عن ذلك الحديث المزعج.

ربطت شعرها بعصبية، قبل ان تنظر الى الكلب الضخم الذي ينام قرب الباب. فتح احدى عينيه بتثاقل، وكأنه يستغرب توترها. قالت له بحدة:

- داين! انت ايضاً تنظر الي كفتاة مراهقة لأنني ربطت شعري كذيل حصان؟ لا، لن اقبل ذلك منك!

ابتسمت جنيفر بحذر، وهي تمر فوقه، مخافة ان يقرر الوقوف فجأة. . . فتقع على الأرض وتؤذي نفسها. عادت الى التحدث اليه ثانية، لأنها كانت وحدها في البيت. قالت له بصوت رقيق:

- اني مضطرة لغسل بعض الجوارب والقمصان، وهذا الشعر اللعين يغطي وجهي وعيني.

توجهت الى غرفة الغسيل الصغيرة، فتبعها الكلب بصورة عفوية ونام قرب قدميها. تأملت نظراته الحزينة، وقالت له:

ـ يبدو انك قررت التخفيف من وطأة العزلة والوحدة على قلبي اهلاً بك.

تنهدت بصوت عال وبدأت تغسل ثيابها. ثم قالت، وكأنها تحدث شخصاً امامها:

ـ يا لها من طريقة لتمضية يوم اجازتي! ماء وصابون وتعب، واتحدث الى كلب لا شك في انه يشعر بالضجر الى درجة فائقة! في اي حال، شكراً لك يا داين لأنك معي.

هز الكلب ذيله مرتين، قبل ان يغمض عينيه ويعود الى النوم. كان منتصف الاسبوع عادة افضل وقت بالنسبة اليها، لتقوم بجميع الأعمال الخاصة التي اجلتها منذ نهاية الاسبوع الفائت. ومع انها مضطرة لانهاء كافة هذه الأمور قبل نهاية الاسبوع، عندما يتدفق المتزلجون على الفندق، الا انها احست بعدم قدرتها على ذلك.

سمعت صوت اجراس بعيدة، الميلاد على الأبواب... في الاسبوع المقبل. كيف يمكنها ان تنسى؟ اولاد اختها يذكرونها دائماً به! والثلج ايضاً! ولكنها شعرت بانها تفتقد الى روح العيد وفرحه. احست بفراغ هائل في داخلها، وتمنت من صميم قلبها لو انها قادرة على القيام بشيء ما لتخفيف هذا العذاب.

ذكرتها اصوات الاجراس البعيدة بالصور الرائعة التي حفرت في قلبها وافكارها، منذ ايام طفولتها، كانت تركب احياناً مع والدها في عربة يجرها حصانان، ويذهبان الى الحقول. انه اول ميلاد تمضيه بعيداً عن والديها... وعن المزرعة... وعن الحصانين بلنك ونود ربما كان هذا هو سبب الفراغ المؤلم الذي تشعر به.

رفضت ان تنجرف مع الاحزان، فبدأت على الفور تردد بصوت عال احدى اغنيات الميلاد... الأجراس الرنانة. سمعت طرقة خفيفة على الباب، فجففت يديها بسرعة وتبعت داين الى الباب.

فتحته، وهي لا تزال تمتم مقطعاً يتحدث عن الركوب في عربة الثلج التي يجرها حصان واحد.

توقفت فجأة عن الغناء، عندما شاهدت امام المنزل عربة سوداء جميلة تشبه الأوزة... وامامها حصان ابيض يحرك رأسه وذيله بعصبية. حولت نظرات الدهشة والاستغراب في عينيها، الى الرجل الذي يقف باسماً قرب الباب. حدقت بعينيه العسليتين القويتين، اللتين كانتا تتأملانها بتكاسل وهدوء. انه لوغان تايلور!

احست برغبة لم تعرف لها تفسيراً منطقياً، تطالبها بمد يديها لمسح الثلج عن شعره ووجهه. ولكن الطريقة التي كان ينظر بها اليها، افزعتها ومنعتها من ذلك. كان شعره يوحي بأنه لصبي او شاب مراهق، ولكن ملامح وجهه تشير بوضوح الى انه رجل بكل معنى الكلمة... ساحر وجذاب!

تنفست بصعوبة وحاولت التظاهر بالبرودة، الا ان حرارته اذابت القناع الجليدي الذي وضعته على وجهها. سألته بتلعثم عما يريد، فابتسم بخبث ورد عليها بسؤال غير متوقع على الاطلاق.

- هل اذناك في موضعهما الصحيح، ام ان المشكلة تكمن في التسريحة الجديدة؟

شعرت باحمرار وجنتيها حياء، فرفعت يدها بسرعة الى شعرها وقالت:

- اتصور ان تسريحة ذيل الحصان هي السبب.

ثم اشارت الى العربة، وسألته بهدوء:

- هل هي لك؟

اعجبه ارتباكها ولكنه لم يعلق على ذلك، بل رد على سؤالها قائلاً:

- اخذتها من احد الاصدقاء. تصورت انك قد تكونين راغبة في القيام بنزهة نحو ملجأ الوعول.

- اوه، ولكن الأولاد لم يعودوا بعد من المدرسة. لن يعودوا قبل بضع ساعات، فالعطلة لن تبدأ قبل نهاية الاسبوع.

- اعرف ذلك.

- اذن ، لماذا. . .

ضحك فجأة، فتوقفت لحظة عن متابعة كلامها. ثم رفعت رأسها بشموخ، وقالت:

- لا ارى ما يضحك الى هذه الدرجة.

- اعرف انني محب وحنون وطيب، ومثل اعلى للأولاد. ولكنني قررت ان اقوم اليوم بالدور الذي تصورينني به. . . الذئب مع الفتاة الصغيرة البريئة. هل تفضلين دور الفتاة الساذجة، ام دور الحارس الأمين الذي يقود العربة؟

ترددت بعض الوقت، فيما كانت تتأمل العربة الجميلة وتتخيل روعة النزهة المقترحة. ولكن الرحلة ليست مع شخص عادي! انها مع لوغان تايلور! اليس فيها خطر عليها؟

- ماذا قررت يا جيني غلين؟ بدأ الحصان يتململ ويفقد صبره. هل ستأتين معي؟

كان صوته ساحراً، وجذاباً، ومقنعاً.

- نعم.

قالتها بسرعة وانفاس متقطعة، قبل ان يتمكن عقلها من اقناع قلبها بالعدول عن هذا القرار.

- اسرعي اذن. احضري معطفك. سأنتظرك قرب العربة.

استغربت السرعة التي اخرجت بها معطفها الأزرق الطويل من خزانة الملابس. وضعت القفازين في جيب المعطف، واستبدلت الحذاء المنزلي العادي بجزمة تحفظ القدمين والساقين حتى الركبتين من البرد والرطوبة.

كان ينتظرها، كما وعدها، قرب العربة. ساعدها على الصعود، ثم اعطاها غطاء صوفياً سميكاً وقال:

- لفي به نفسك جيداً، فسوف يقيك من البرد الشديد والرياح القاسية.

نفذت تعليماته بدون تردد، فيما كان هو يغطي نفسه بالطرف الآخر ويأمر الحصان بالتحرك. ظلت تشعر بوجوده لبعض الوقت. كانت متضايقة الى حد ما من ملامسة ذراعه لذراعها ولكنها ارتاحت تدريجاً، وبدأت تنعم بصوت الاجراس المعلقة في رقبة الحصان.

لم تعد خائفة او متوترة الأعصاب. تذكرت طفولتها وسعادتها الفائقة بركوب العربات التي تجرها الخيول. نسيت، ولو لفترة وجيزة، الفراغ الهائل الذي كان يعصف بداخلها قبل قليل. مسكين داين، انه وحده الآن. . . ولكنه معتاد على ذلك! والأعمال التي تريد الانتهاء منها؟ تباً لها، فسوف تتركها الى وقت آخر! ها هما يخرجان الآن من البلدة، باتجاه الشمال. الثلج الأبيض النقي في كل مكان.

وقررت جنيفر ان تدع الهموم جانباً. . . وتتمتع بوقتها ونزهتها. . . حتى مع لوغان تايلور . . . مع الذئب!

٥- مؤامرة من أجل من؟

احست جنيفر وهي تراقب الثلج المتساقط بهدوء وسكينة، بشعور غريب. تمنت، لو أنّ الزمان يعود قليلاً الى الوراء. لم تكن بحاجة لاغماض عينيها كي تتصوّر هذا المكان الرائع قبل مئة سنة مثلاً. سألته بصوت هامس، وكأنها تخاف من تعكير الصفاء والطمأنينة.

- هل يمكنك ان تتخيّل هذه المنطقة قبل عشرات السنين؟ قبل ان تهجم عليها المدنية والحضارة... والسيارات؟

- أمنا الأرض! روعة وجمال لم يلمسها أحد، كصبية عذراء. هل تودّين لو أنك من الرواد الأوائل؟

عبست ممازحة، وقالت:

- لو كنت صبياً، نعم!

تراقصت نظراته العابثة على وجهها بخبث ودهاء، وقال:

- انك تفضّلين اذن ان تكوني امرأة متحررة.

ابتسمت بعنفوان وتحدّ، وسألته بمرح ظاهر:

- من المؤكد أنك لن تعترض على هذا الأمر، أليس كذلك؟ أم أنك من أولئك الرجال المتغطرسين الذين لا يريدون اعطاء المرأة حقوقها؟

تظاهر بالانزعاج، وقال:

- انتبهي، أيتها الفتاة! فهذه تعتبر هنا شعارات حرب. هل تناسيت دروسك الاجتماعية؟ ألا تعرفين ان وايومينغ هي ولاية المساواة، وكانت أول ولاية في الاتحاد تمنح المساواة للمرأة في كافة المجالات السياسية والمدنية والاقتصادية... حتى قبل أن تسمى بلادنا الولايات المتحدة؟

ستجدين ان رجال وايومينغ يعرفون قيمة المرأة الجيدة، لا كربة بيت أو أم أطفال فحسب. . . بل وأيضاً كشخص يقف الى جانب الرجل ويساعده في الضراء والسراء.

ذهلت جنيفر لدى سماعها تلك الكلمات الرقيقة، الصادرة عن شخص لم تتوقع منه أبداً ان يكنّ اي احترام او تقدير لجنس النساء.

ـ ما بك، يا جيني غلين؟ ألم تنتظري سماع مثل هذه التصريحات من زير نساء؟

احمر وجهها بسبب صراحته، فمضى الى القول:

ـ على الرغم من كل ادعائنا المتغطرس بعكس ذلك، فنحن معشر الرجال نريد من المرأة ان تلبي حاجة القلب والروح، بقدر ما نطالبها بالعواطف الحسية.

ارتعش جسمها كله، ولكن ليس بسبب الثلج والبرد. . . بل نتيجة تلك الكلمات، هل من الممكن ان تكون هذه حقيقة مشاعره تجاه المرأة؟ نظر اليها باغراء تصعب مقاومته، فازدادت سرعة ضربات قلبها بشكل مذهل ومخيف. أبعدت وجهها عنه بسرعة فائقة، كيلا تكشف له المزيد من شعورها تجاهه. تظاهرت باللامبالاة، قائلة له بمرح مصطنع:

ـ تبدو كلماتك كوصف شاعري رائع للحب. هل تعرف المعنى الحقيقي لهذه الاحاسيس، يا لوغان؟

انفجر ضاحكاً، ثم هدأ قليلاً وقال:

ـ هل يسر قلبك الرومنطيقي الشاعري، لو قلت انني أنتظر اختفاء شبح حب قديم بصورة تامة، قبل ان اكشف عن مشاعري تجاه الشخص الذي احبه الآن حتى الجنون؟ لا! أرى في نظرات الذهول والصدمة، التي تضج بها ملامحك وعيناك، استعداداً جلياً لرفض اي قصة من هذا القبيل. هذا لا يعني ابداً انك لا ترغبين في رؤيتي راكعاً امام امرأة.

أوقف لوغان الحصان فجأة، ثم وضع ذراعه حول خصرها ومضى الى القول:

- تقول امي اني أتذوّق جميع أنواع الثمار، قبل ان اختار الفاكهة المناسبة... عندما يحين موعد قطفها.

- هذه هي ذروة الكبرياء والغرور!

ماذا يعني عندما يتحدّث عن شبح حب قديم؟ هل يعقل انه يشير الى أريك، زوج شيلا الراحل؟

- لا تنظري اليّ هكذا، فالأمر ليس سيئاً الى هذه الدرجة. أليست هذه الكلمات جزءاً من الأحاديث اللاذعة التي يتبادلها الرجل والمرأة، لمعرفة ما اذا كان الذي يجمع بينهما هو اكثر من مجرد انجذاب حسّي؟ لنأخذ وضعنا نحن على سبيل المثال. ثمة أشياء تجمع بيننا! هل هي عواطف دنيئة، كما وصفتها أنت في وقت سابق؟

تجمّدت في مكانها، وهي تسمع اشارته الى المعركة الكلامية التي جرت بينهما بعد عناقهما على الثلج... قرب كوخ السيد كارمايكل. شعرت بغضب شديد وأرادت ان ترد له الصاع صاعين، ولكنه سبقها الى الكلام قائلا:

- ربما كان عليّ ان أسألك اولاً عمّا اذا كنت أحببت قبلاً. هل كان ذلك الرجل في مينيابوليس حقل اختبار للحب؟ هل كنت تنوين فقط معرفة عمق مشاعرك نحوه؟

- هذا ليس من شأنك ابداً.

ابتسم مرة اخرى عندما لاحظ امتعاضها وتوتر اعصابها، وقال:

- لا يمكن ان يكون ذلك الشعور حباً حقيقياً، لأنني أرى الغضب في عينيك كلّما فكرت به. يبدو أنه لا يوجد شيء اسمه... جرح دائم.

صرخت بحدة بالغة:

- كيف سمحت شيلا لنفسها باطلاعك على هذه الأمور؟

- صدقيني انني لم أطّلع الآ على تفاصيل عامة جداً، وسبب ذلك أنّني كنت موجوداً عندما اتصلت بأختك هاتفياً

نظرت اليه بتشكك. وعلى الرغم من البراءة المتزايدة في لهجته، فقد صدقته... ذلك لأن أختها لا يمكن ان تكون مهملة الى حد كبير بالنسبة لشؤونها الخاصة، بحيث تخبر شخصاً غريباً تماماً القصة الكاملة. سألته بخبث واضح:

- ماذا كنت تفعل مع شيلا في تلك الساعة... تتذوّق الثمار؟

- جيني الحبيبة، جملة كهذه تضرّ بسمعة اختك اكثر مما تضرّ بسمعتي.

- تصوّرت انك قلت قبل قليل ان الرجال في وايومينغ لا ينظرون الى النساء بمنظارين مختلفين.

- اننا نعترف بالمساواة، ولكننا نحترم الخصوصيات. أعتقد أنها فضيلة ورثناها أيضاً عن الرواد الأوائل، عندما كانت الفروسية تصرفاً يحظى بالاعجاب والتقدير... وعندما كان الرجال يحترمون الجنس الضعيف.

- اني اعتذر منك... كنت قاسية في كلامي. ولكنني أريدك ان تعلم أنني ممتنة لك لكل ما قمت به تجاه شيلا... والأولاد.

- وانا اعتذر منك بدوري، لأنني ضايقتك وقسوت عليك.

وجّه اليها نظرة ساحرة جذابة، فيما وضع يده بحنان على رأسها وداعب شعرها قليلاً. أنزل يده بعد لحظات الى كتفها، فأحست برعشة قوية تهزّ جسمها وتملأه حرارة. ثم اوقف العربة، وقال:

- ها قد وصلنا الى المكان الذي نقصده، يا جيني. انظري الى وعولك.

كانت غارقة تماماً في أحاديثها وأحاسيسها، لدرجة انها لم تشعر إلاّ بوجود الرجل الجالس قربها. نظرت حولها بسرعة، فشاهدت عربتين ومجموعة من الخيول قرب مبنى صغير واسطبل كبير بجانبه. قال لها موضحاً:

ـ تهتم عائلة جايسون منذ زمن بعيد بتأمين رحلات بعربات الثلج نحو تلك المنطقة التي تتجمّع فيها الأيائل.

خرج رجل في تلك اللحظة من المبنى الصغير، ورحّب بهما بحرارة. ابتسم لوغان، وقال له:

ـ مرحباً، يا فرانك. أريد ان آخذ الآنسة غلين لالقاء نظرة عن كثب على القطيع.

ـ حسناً، حسناً. ولكن لا تقتربا كثيراً، لأنّ الوعول قد تتضايق من وجود عربة جديدة.

ـ شكراً، سوف نتوخى الحذر. الى اللقاء.

اقتربا من مكان التجمع، فتمكنت جنيفر من مشاهدة الحيوانات بصورة واضحة. كان البعض مستلقياً على الأرض، والبعض الآخر يراقبهما... فيما كان قسم كبير ينظر الى نواح أخرى، غير مهتم بما يجري في الجوار. أخذت تتأمّل هذه المجموعة الكبيرة من الحيوانات الضخمة باعجاب ودهشة.

ـ تختلف التسمية بيننا وبين الأوروبيين بالنسبة الى هذه الوعول، إلّا أنّ الأشكال والأحجام هي اياها تقريباً. يصل ارتفاع الذكور من هذه الحيوانات حتى متر وستين سنتيمتراً الى الكتفين فقط، وقد يصل الوزن الى حوال خمسمئة كيلو. اما الاناث فهي أقل حجماً ووزناً. انظري الى هذه القرون الصغيرة والمسننة... انها لذكر في عامه الأول أو الثاني، اما القرون الكبيرة التي تضم خمسة أو ستة فروع متشعبة، فهي للذكور الأكبر سناً.

لماذا لا يمكنها ان تركّز اهتمامها فقط على هذه الوعول؟ لماذا تشعر بوجوده الى هذه الدرجة، كيف يمكنها ان تزيل هذه الأحاسيس من افكارها وقلبها؟

ـ من اين تأتي جميع هذه الأيائل؟

ـ يأتي معظمها من يلوستون وتيتون في الشمال. وتبدأ الهجرة الى هذا الملجأ الآمن والأقل برودة، مع بداية فصل الشتاء.

ـ هل كانت تأتي دائماً الى هنا؟

ـ لا، كانت تختار أمكنة أبعد جنوباً... الى السهول المحيطة بمنطقة روك سبرينغ. عندما بدأت عملية انشاء المزارع في الثمانينات من القرن الماضي، وجدت هذه الحيوانات البرية صعوبة في ايجاد ما تأكله... وكادت تموت كلها جوعاً. ويقال انه كان بامكان الانسان، في احد فصول الربيع، ان يسير كيلومترات عديدة على جثث الوعول التي نفقت. وكان على هذه الحيوانات أيضاً ان تواجه بعض الصيادين الذين كانوا يصطادونها لأجل اضراسها فقط، لأنها كانت ذات قيمة مرتفعة جداً. وأخيراً، حرّم هذا النوع من الصيد... وأصدرت الحكومة قانوناً في عام ١٩١٣ أقامت بموجبه هذه الملاجىء الآمنة للأيائل.

سمعت جنيفر فجأة أصواتاً قوية مزعجة تأتي من ناحية التلال القريبة، ثم سمعت بعد لحظات اصوات تألم وعذاب. نظرت اليه مستفسرة، فقال لها:

ـ انها الذئاب! تنظف البرية من جثث الحيوانات التي نفقت!

ـ الا تهاجم القطعان؟

ـ ليست بحاجة لذلك. فهناك اعداد كبيرة من الوعول الجريحة او المريضة التي تحاول الوصول الى هنا بعد موسم الصيد. يتمكّن بعضها من الوصول، ولكن البعض الآخر يكون ضعيفاً جداً ولا يتمكن من ذلك. وهناك أيضاً الحيوانات التي تنفق على الطريق، بسبب تقدمها في السن. انها أفضل منطقة بالنسبة الى الوحوش الضارية والطيور الكاسرة.

ارتعش جسمها، وقالت بانزعاج واضح:

ـ انه امر مرعب ومثير للاشمئزاز!

ـ انها سنّة الطبيعة، وسبب التوازن الحاصل فيها.

ثم ابتسم لها متعاطفاً، ووضع ذراعه حولها قائلا:

ـ انظري الى تلك التلة، والى غابة الصنوبر. هناك تتجمّع معظم الذئاب.

ارتجفت... ولكن ليس بسبب الذئاب. نظرت في الاتجاه الذي أشار اليه، وهي تعلم انه سيلاحظ ارتعاش جسمها...

ـ هل تشعرين بالبرد، يا جيني؟

قفز قلبها من مكانه، بسبب سؤاله هذا وزيادة التصاقه بها. توترت اعصابها كثيراً، عندما ضمها اليه وراح يفرك كتفيها بسرعة... ولكن برقة ونعومة. قال لها بهدوء:

ـ يجب ان نعود الآن الى البيت، ونضعك أمام نار تعيد الدفء الى جسمك.

تحركت العربة باتجاه منزل شقيقتها، وعاد لوغان الى الاحاديث العادية عن الظباء والوعول. ثم حدّثها عن الحيوانات الاخرى والطيور المائية والأسماك، مضيفاً انه سيأتي بها مرة ثانية لمشاهدة اجزاء اخرى من هذه المنطقة. هزّت رأسها موافقة، مع انها كانت متأكدة الى حدّ كبير من انها لن تعرّض نفسها مرة اخرى لمثل هذه الرحلات الخاصة... معه هو بالذات. انه جذاب الى درجة مذهلة، ولا يمكنها ان تشعر بالسكينة والراحة عندما يكون قربها.

كانا صامتين تماماً عندما مرت العربة امام المبنى الصغير، واكتفى لوغان برفع يده ملوحاً ومودعاً للرجل الذي يدعى فرانك. لم تكن جنيفر تسمع شيئاً في تلك الفترة الهادئة من أيام الشتاء، سوى أصوات الأجراس المعلقة في عنق الحصان. تصوّرت نفسها مستندة الى جانب لوغان وهو يضمها الى صدره وقلبه. تخيّلت أنّ ذلك عائد للجو الرومنطيقي، وليس لأي رغبة عاطفية أو روحية من جانبها... رفع يده فجأة ووضعها على عنقها، ثم راح يداعبها بحنان قائلا:

- يمكنك ان تضعي رأسك على كتفي، اذا كنت راغبة في ذلك.

نظرت اليه بعينين تقدحان شرراً وازدراء. هل علم اللعين بما كانت تفكر به قبل لحظات؟

ابتعدت عنه قدر الامكان، وقالت له بلهجة حازمة:

- لست بحاجة لذلك ابداً. شكراً!

- اين المشكلة؟ هل انت خائفة من انني سأجرح الطهارة والفضيلة في نفسك؟

- أبداً! كنت اؤكد لك فقط انني مرتاحة تماماً واشعر بالدفء بما فيه الكفاية، بدون الحاجة الى... الى...

حرمتها ابتسامة الدهاء في وجهه من الاحتفاظ ببرودتها، فأكمل لها جملتها:

- الكلمة المطلوبة هي الكتف.

- اعرف.

قالتها بعنفوان وتحد، مع أنها شعرت بأنه يدرك تماماً مدى تأثيره على احاسيسها ومشاعرها. ظلّت صامتة طوال بقية الطريق. أوقف العربة أمام بيت شيلا، وقال:

- ها قد عدت، يا جيني غلين، سالمة وآمنة.

نزل من العربة ووضع يديه بقوّة حول خصرها، ثم رفعها من مكانها بهدوء وأنزلها الى الأرض. نظرت اليه بغضب شديد، عندما شاهدت ابتسامته المرحة والساخرة. لم يتركها، وظل يركز نظراته على فمها. حبست أنفاسها بتوتر مرعب، وهي مذعورة من احتمال اقترابه منها... تذكرت مدى ضعفها وتجاوبها في المرة السابقة، وكيف أحست بمشاعر عميقة. حاولت اخفاء ارتباكها، فقالت له بسرعة:

- امضيت وقتاً ممتعاً للغاية، يا لوغان. شكراً.

ضحك لوغان ورفع نظراته عن فمها لتشمل كافة انحاء وجهها، وقال:

- بقدر ما تسمحين لنفسك، يمكنك ان تتمتّعي بوقتك.

ابتعدت عنه بمجرد ان رفع يديه عنها، مخافة ان يغيّر رأيه. ثم قالت:

- لا يضر المرء أبداً ان يكون حريصاً ويتوخى الحذر.

- اخبري شيلا بأنني ساكون خارج جاكسون لمدة يوم أو يومين، كما انني سأمضي بعد ذلك يومين او ثلاثة في المزرعة. ان لم تكن بحاجة اليّ خلال هذه الفترة القصيرة، فسوف أحضر وأمي ليلة الميلاد حوالى السابعة.

سألته باستغراب واضح حمله على العبوس:

- ليلة الميلاد؟ لماذا تريد الحضور ليلة الميلاد؟

- اننا نحضر دائماً لمدة ساعة تقريباً. انه تقليد قديم العهد في عائلتنا، منذ كنت واريك في المدرسة الاعدادية.

أذهلتها نظرات الاشمئزاز والازدراء في عينيه. اعتادت على رؤيته جذاباً ساحراً، لدرجة انها كادت تنسى مدى قساوته وتسلطه عندما يكون غاضباً. أجابته بصوت خافت يوحي بالاعتذار:

- لم اكن اعرف ذلك.

ثم اضافت بهدوء، ولكن بكبرياء:

- اننا نتطلع قدماً لرؤيتكما ليلة الميلاد.

ابتسم لها بتأدب، وقال:

- الى اللقاء اذن.

أبلغت جنيفر أختها رسالة لوغان، فأكّدت لها شيلا ان تلك الزيارة القصيرة هي فعلاً تقليد تتبعه عائلة تايلور منذ زمن بعيد. ثم قالت:

ـ نقدم لها، أنا والأولاد، كل عام هدية متواضعة. يمكننا ان نضيف اسمك الى البطاقة هذا العام، اذا كنت راغبة في ذلك.

ترددت جنيفر قليلاً، فيما كانت تجول في خاطرها أفكار شيطانية تدلّ على التمرد والاستقلالية. قالت لاختها بهدوء:

ـ لا... اعتقد انني سأختار بنفسي هدية للوغان.

ـ اضمن هدية لأمه ماندي هي احدى احدث القصص الناجحة.

شكرتها جنيفر على اطلاعها مسبقاً عما تحبّه والدته، فيما كانت تخطّط بصمت ودهاء لهدية لوغان. ذهبت بعد أيام ثلاثة الى احدى مكتبات البلدة، فلم تجد اي صعوبة في اختيار هدية الأم. كان الموظفون ينزلون لتوهم احدث مجموعة من روائع القصص، فاختارت أفضلها... بالاضافة الى علبة جلدية صغيرة تتسع لأربعة كتب مماثلة. انتهت من مهمتها السهلة هذه، وراحت تبحث عن هدية لوغان. وجدتها اخيراً، فابتاعتها وهي تكاد تنفجر ضحكاً... فيما كان الموظف ينظر اليها بدهشة واستغراب. تطلّعت الى ساعتها، فلاحظت ان اختها لن تمر لأخذها الى البيت قبل ساعة او اكثر. قررت ان تشرب فنجاناً من القهوة، واختارت المقهى الذي اخذها اليه لوغان. اقنعت نفسها بأنّ سبب اختيارها لهذا المكان بالذات، هو مجرد قربه منها.

ـ هل تسمحين لي بأن اشاركك هذه الطاولة، يا جيني؟

لم يكن في ذلك المقهى اي مكان شاغر، إلاّ الذي قربها. وبما أنّ الشخص الذي وجه اليها هذا السؤال بتهذيب ورصانة لم يكن الاّ ديرك هاملتون، فقد ابتسمت له وقالت:

ـ تفضل. اهلاً وسهلاً.

ابتسم بتأدب وامتنان قبل ان يجلس قبالتها. لم تتضايق عندما

استخدم اسم جيني معها. أما لوغان. . . اوه، لوغان! تشعر كل مرة يناديها على هذا النحو، بانه يستخدم كلمة حبيبتي عوضاً عن جيني.

ـ ارجو الاّ اكون قد ازعجتك بمخاطبتك باسم مصغر. جيني اسم جميل ورقيق، في حين ان جنيفر اسم يدل على عنجهية وتصنّع بعيدين كل البعد عن نفسيتك وشخصيتك المحببتين.

ـ ساعتبر كلامك هذا اطراء لي. شكراً. انه أمر مستغرب جداً ان احداً لم يكن يناديني هكذا قبل وصولي الى جاكسون. كنت اشعر في البداية باشمئزاز كبير لدى سماعي هذه التسمية.

ـ لاحظت ان لوغان يطلق عليك اسم جيني. هل كنت تشمئزين من الاسم نفسه ام من الشخص الذي يستخدمه؟

ـ اعتقد انني سأتجاهل سؤالك كلياً، لأن الرجل يقوم بدور ناشط وحيوي في حياة اختي.

ـ الاحظ من كلامك هذا انك لا توافقين كثيراً على تصرفات السيد تايلور. الا تؤثر فيك كثيراً جاذبيته الساحرة؟

ـ لنقل انها لا تهمني. اما شيلا، فهي موضوع آخر.

تنهّد ديرك بمزيج من الاستغراب والحنق، وقال:

ـ شيلا! تعميها الضمانة التي يوفرها لها. . . الضمانة المادية.

ـ يضطر الانسان عادة، عندما يكون مسؤولاً بمفرده عن ثلاثة اولاد، الى أخذ الجانب المالي في حياته بعين الاعتبار.

ـ ومن النادر طبعاً ان يتمكّن الفنان من تأمين أي مساعدة تذكر في هذا المجال! عندما بدأت حياتي الفنية، اضطررت لبيع لوحاتي الى اي كان. . . لأعيش. أنا الآن في الخامسة والثلاثين من عمري، يا جيني، وقد انتهيت حالياً من فترة الكفاح والعذاب. أصبح دخلي جيداً بسبب المعارض والعمولات التي أتقاضاها. وها أنا الآن أعيش مرتاحاً مطمئن البال.

بدت عليه العصبية واحمر وجهه غضباً، وكأنه يحتج على أمر هام.
لم تعلّق جنيفر على كلامه، فقال بشيء من الحزن والأسى:
- المؤسف، ان اختك حطّت كثيراً من قدري وعاملتني ككلب صغير يركض وراء ذيله في حلقات مفرغة. انا لا اريد رسم اي لوحات هنا... انه مجرد عذر لأراها. أتصوّر أنها لا تحدثك ابداً عني!
هزّت رأسها سلباً، فمضى الى القول:
- أحببتها في الصيف الماضي، وخيّل الي انها احبتني... اعني ذلك النوع من الحب الذي لا يطالب الانسان بأكثر مما هو. ولكنها بدأت فجأة تقترح عليّ ايجاد وظيفة تؤمن لي دخلاً متواصلاً... وان أرسم في اوقات فراغي فقط. كانت خائفة من المستقبل المالي لفنان في بداية الطريق. أرادت ان تتأكد من وجود مبلغ معين يأتي كل اسبوع دون الاضطرار لانتظار شخص يبتاع هذه اللوحة او تلك. تجادلنا كثيراً. لم يهمها ابداً انّ الفن هو حياتي وحاضري ومستقبلي. تركتها وأنا اقول لنفسي انني محظوظ لأنني تخلّصت منها ومن عالمها المادي. حاولت اقناع قلبي وعاطفتي بأنّ وجودها مع لوغان أفضل لها بكثير، وبأنني سأنساها... ولو بصورة تدريجية!
- ولكنك لم تقتنع بعد، على ما يبدو.
- لا، لم اقتنع. شعرت بأنّ من واجبي القيام بمحاولة اخيرة. لم أتمكن حتى الآن من مقابلتها أو رؤيتها. رباه! لماذا ازعجك بمثل هذه المصائب والآلام!
- اذني متعاطفة جداً، ولا ترفض الاستماع الى أحزان الآخرين. ثم... من أفضل من اخت الضحية كشريك في المؤامرة!
لمعت عيناه ببريق الأمل، ولكنه تنهد وقال:
- لا، لا يمكنني ان اطلب منك اي مساعدة في هذا المجال. لا

أريد ان اضعك في موقف عدم الاخلاص بالنسبة الى أفراد عائلتك.

ـ كيف سأفعل ذلك؟ تأكد جيداً، يا ديرك، ان فكرة زواج شيلا من لوغان تخيفني وتعذبني. اذا قمت بأي محاولة للجمع بينكما، فانني اعتبر ذلك خدمة كبيرة لها ولأولادها.

ـ يبدو انك قرّرت القيام بمهمة مستحيلة، لأن شيلا ترفض مقابلتي لأيّ سبب.

ـ لا يمكنها بالتأكيد ان تمنعني من احضار اصدقائي، الاّ اذا طردتني من بيتها... وهذا أمر اشك فيه كثيراً. واذا صدف انها كانت في البيت لدى حضورك، فعندئذ...

لم تنه جملتها، ولكن ابتسامتها الشيطانية كانت كافية لاعطاء المعنى الكامل.

ـ انت ساحرة صغيرة تعرف كيف تقنع الناس.

سمعا فجأة صوت فتاة صغيرة:

ـ وجدتها، يا امي. انها هنا.

ـ سيندي! لم أتوقع أن اراك هنا!

رحّبت جنيفر أيضاً بالشاب الصغير، الذي كان يمسك كعادته بيد اخيه ريتشارد، «مرحباً، يا سيندي».

التفتت الصغيرة الى الرجل بذهول، ثم غمرت وجهها ابتسامة سرور عريضة والقت بنفسها عليه. قالت له بصوت مرتعش:

ـ اوه، ديرك، لم نرك منذ سنة. افتقدتك كثيراً، وخصوصاً لأن أمي قالت لنا انك لن تعود أبداً.

ـ تصورت أنني علمتك ان تقولي حرف السين بشكل صحيح. هيا لنسمع جميعاً حرف السين.

ـ سين... سين... س... سا! لم يعد يهمني كثيراً كيف الفظ هذا الحرف أو ذاك، بعد ذهابك.

لم يعلّق ديرك بشيء على كلماتها الرقيقة المؤثرة، لأنه شاهد شيلا. لم تتغيّر ملامح وجهه او نبرات صوته، عندما قال لها بهدوء تام:

- مرحباً، يا شيلا. كيف حالك؟

نظرت الى اختها بارتباك واضح، قبل ان تتمتم قائلة انها بخير.

تطلّع ديرك نحو اريك وسأله بحنان:

- وكيف حال رجلي الصغير؟

- انا لست رجلك الصغير؟

استغربت سيندي تصرف اريك، ولكنها تجاهلت هذا الامر وسألت امها:

- الست مسرورة، يا امي، بعودة ديرك؟

لم تجبها شيلا على الفور، فاستدارت ثانية نحوه وقالت بلثغتها التي تخلت عنها لمدة دقيقتين:

- يجب ان ترى داين وتسمعه. انه كبير جداً وقوي. اشترينا له هدية جميلة سيفرح بها كثيراً!

- هذا يكفي، يا سيندي. أنا متأكدة من ان السيد هاملتون ليس مهتماً كثيراً بهذا الموضوع.

- بلى، يا امي. الست مهتماً، يا ديرك؟

- طبعاً يا عزيزتي.

- الم اقل لك، يا امي؟ اوه، يجب ان تري هديتي لأريك. سوف نفتح هدايانا ليلة العيد. اوه، كم اتمنى ان تكون معنا!

تدخّلت جنيفر على الفور، لأن الفرصة سنحت لها. وقالت:

- يا للصدفة، يا سيندي! كنت أسأل ديرك قبل قليل عما سيفعله في سهرة الميلاد، فاجابني بأنه لا يعرف ماذا سيفعل. كان سيمضي السهرة وحده.

أحست انه من غير الانصاف استغلال طفلة لتحقيق أهدافها. ولكنّها شعرت بأنها مستعدة للقيام بأي شيء لتخليص اختها من قبضة لوغان. نظرت اليها شيلا بعصبية وخوف، فيما طالبته الطفلة بأن يسهر معهم. تطلّع بجنيفر وقال لها انه سيحضر. . . اذا كانت متأكدة من ان حضوره ممكن.

ـ طبعاً. احضر في السابعة تماماً، وانت في افضل ثيابك واجملها.

ابتسم ووعدها بالحضور. التفتت نحو اختها وقالت:

ـ اتصور أنّنا مستعدون للعودة، اليس كذلك؟ ديرك! سأراك غداً ان شاء الله.

وقفت شيلا مع ابنيها صامتين، فيما كانت جنيفر وسيندي يتبادلان كلمات الوداع والتمنيات مع ديرك. وعندما اصبحوا خارج المقهى، التفتت شيلا نحو اختها وكأنها تصرخ بها قائلة:

ـ كيف يمكنك ان تفعلي بي هكذا؟

هزّت جنيفر كتفيها غير مكترثة او مبالية برد فعل شقيقتها. كانت مقتنعة بأنها تقوم بعمل جيد، وبأنها لم تدع ديرك إلاّ لصالح اختها. هذه هي الحقيقة وهي متأكدة من ان خطوتها هذه لم تكن بهدف ايجاد درع يحميها من اغراء لوغان وجاذبيته.

هل هي حقاً متأكدة من ذلك؟ نعم. . . لا. . . او ربما!

٦ - تحبه... حتى الجنون.

أخذت جنيفر ابن اختها الصغير الى سريره وأخبرته قصة قصيرة، فنام الصبي مرتاحاً مسروراً. ثم أخذت الفتاة الى غرفتها، بعد أن طلبت من اريك أن يذهب الى الغرفة التي يشاطره اياها شقيقه. وبعد ذلك، عادت الى غرفة الجلوس واختارت أحد الكتب... بانتظار عودة اختها من العمل.

لو قال لها أحد قبل اسبوع واحد أنّ مثل هذا الصمت المتوتر سوف يخيم على الاختين المتعلقتين كثيراً ببعضهما، لكانت ضحكت باستخفاف واستهزاء. توقعت أن تنفجر اختها غضباً بعد دعوتها ديرك الى سهرة الميلاد، وان تفسح لها المجال بالتالي لتحاول اقناعها. ولكن شيلا اكتشفت سلاحاً أمضى وأدهى... الصمت. كان صمتها اتهاماً قاسياً وشديداً لأختها... بالخيانة والتآمر. وعليه لم تجد جنيفر الجرأة الكافية لمفاتحتها بالأمر واطلاعها على ما يجول في رأسها من افكار وآراء.

تنهدت بانزعاج ووضعت الكتاب جانباً، لأنها لم تكن قادرة على تركيز انتباهها عليه. أغمضت عينيها وقرّرت أن ترتاح قليلاً، ولكن الحركة المتواصلة تقريبا في غرفة الشقيقين الصغيرين أعادت تفكيرها الى موضوع شيلا وديرك. انها تواجه خصمين عنيدين في محاولاتها للجمع بين اختها والفنان... شيلا وديرك. لماذا يرفضه اريك، بينما تقبله سيندي بكل محبة وسرور؟

قامت من مقعدها ومشت بخفة نحو الغرفة، لتعرف سبب

الحركة. وقفت في الباب، فشاهدت عينين زرقاوين جميلتين تحدّقان بها. سألته بصوت خافت، خوفاً من ايقاظ اخيه.
- ألا تقدر أن تنام؟ هل من شيء يزعجك، يا اريك؟
لم يجبها، فقالت له:
- اذا تحدث الانسان احياناً عن مشكلته مع شخص آخر، فانه يكتشف أنها ليست صعبة أو معقدة كما يتصوّر.
جلس في سريره، فيما اقتربت منه وجلست قربه. شعرت بأنه يحلل جملتها بدقة وعناية، ويحاول اتخاذ قرار.
- يسرني جداً أن استمع اليك. هيا، لا تتردّد!
نظر اليها بجدّية بالغة، وسألها بهدوء ورصانة:
- هل يستمع الله عز وجل لصلوات الناس، بما في ذلك الأطفال الصغار مثلي؟
- يستمع للجميع. وخاصة للصغار.
- وهل يستجيب دائماً لصلواتهم؟
- كيف لنا أن نعرف ماذا يقرّره الله العلي القدير، يا حبيبي!
لاحظت التأثر الشديد الذي ظهر بوضوح على وجهه وفي عينيه، فسألته:
- وماذا كان موضوع صلاتك، يا اريك؟
رفع رأسه نحوها ونظر اليها بعينين حزينتين تحملان بعض التحدي، وقال:
- صليت لكي يقرر لوغان وأمي أن يتزوّجا، ولكي يذهب ديرك الى غير رجعة.
تمكّنت جنيفر بصعوبة من اخفاء دهشتها واستغرابها، وقالت له بنعومة:
- ولكن ذلك ليس عادلاً بالنسبة الى سيندي. انها تحب ديرك

كثيراً، وأنت تعرف ذلك.

ارتجف ذقنه وهو يحاول جاهداً حبس دموعه، ثم قال:

- انها مجرد طفلة صغيرة. تحبه لسبب واحد فقط... لأنه اعطانا داين. كان كلباً صغيراً لم يرغبه احد.

- هذا غير صحيح، فأختك واخوك يحبانه كثيراً. وأعتقد أنك أنت أيضاً تحبه.

- لا اعرف! انه بشع وجبان ويقع دائماً! أريد كلباً كالذي يضعه الخال لوغان في المزرعة، فهو كلب حراسة قدير وله اهمية قصوى. يقول الخال لوغان انه لا يقدر ابداً على رعاية قطيعه الكبير لو لم يكن لديه راينجر!

آه من لوغان! ابتسمت له بهدوء، وقالت:

- كلبكم، يا اريك، هو من النوع القوي والشجاع الى أبعد درجة. هل تعرف أن السلطات المحلية في بعض الدول الأوربية تستخدم أمثاله منذ سنوات عديدة لانقاذ المصابين والمفقودين في المناطق الجبلية المغطاه بالثلوج؟ يجب أن تعتز به كثيراً، وأن تفخر بان لديكم كلباً مثل داين.

- اعتقد أنني أحب داين بعض الشيء! ولكن... ولكنني لا أحب ديرك أبداً!

سألته بشيء من الحدة:

- لماذا؟ لماذا؟

- لأنه عندما كان هنا في المرة الأخيرة أحزن أمي وأبكاها، وأنا لا أريدها أن تبكي مرة اخرى!

انهى كلامه باكياً، فمدّت ذراعيها نحو الطفل المعذب وضمته الى صدرها. كيف يمكنها أن تشرح لصبي في عمره أنّ أمه سوف تتعذّب كثيراً مع لوغان... وسوف تبكي وتبكي.

هدأ الصبي قليلاً، فمسحت له وجنتيه وبدأت تشرح له:
- يبكي الناس لأسباب عديدة ومختلفة. يبكون لأنهم متألمون أو وحيدون أو معذبون، ويبكون أحياناً لأنهم سعداء وفرحون. يجب ألاّ تقسو على اسعادها. أليس هذا ما تريده لها؟ أن تكون سعيدة؟
هزّ رأسه بهدوء، فيما كانت يداه تفركان عينيه. ابتسمت له، وقالت:
- لماذا لا ننتظر اذن لنعرف ماذا سيحدث! اتفقنا؟
وضع رأسه على وسادته، وقال:
- اتفقنا، يا خالتي جيني.
- هل تعتقد أن بامكانك أن تنام الآن؟
- نعم. وأشعر أيضاً بارتياح واطمئنان.
ابتسمت جنيفر وقالت:
- عظيم، اني مسرورة جداً. تصبح على خير. نم بهناء وسعادة.
قبلته على جبينه، فابتسم لها وقال:
- تصبحين على خير.
رنّ جرس الباب في تمام السابعة من مساء اليوم التالي، ففتحته جنيفر لتجد أمامها ديرك ومعه مجموعة كبيرة من الهدايا. ابتسم بارتياح وقال:
- كل عيد وأنت بخير.
ردّت عليه التمني بالمثل، وهي تأخذ منه بعض الهدايا. ثم نادت ابن اختها قائلة:
- اريك! هل يمكنك أن تأتي؟ هذه مجموعة أخرى من الهدايا يجب أن نضعها حول الشجرة.
لحقت به اخته فوراً. حمل كل منهما بعض هدايا ديرك، ثم توجها بسرعة نحو الشجرة. ساعدته جنيفر على خلع معطفه، فقال لها

بصوت مرتجف الى حد ما:

- كنت اتوقع طوال الوقت أن تتصلّي بي بعد ظهر اليوم، وتطلبي مني عدم الحضور.

اين شيلا؟

- في المطبخ، صامتة جامدة كمومياء.

سمعت طرقة خفيفة على الباب، فرفعت حاجبيها استغرابا. قال لها ديرك:

- هذا لوغان. كان آتياً وأمه عندما طرقت الباب.

فتحت جنيفر الباب بتردد، وتبادلت الكلمات المعتادة مع لوغان... ومع والدته الجذابة الجميلة، ثم نادت اختها:

- شيلا! لوغان والسيدة تايلور هنا!

ركض الأولاد الثلاثة نحوهما، وأخذوا منهما الهدايا التي كانا يحملانها. راحت جنيفر في تلك الثواني الوجيزة تتأمل السيدة الراقية، ذات الملامح البشوشة والنظرات الطيبة المهذبة.

وفجأة أحسّت بأن ديرك يتنفس بصعوبة... فعلمت أن اختها أتت لاستقبال الضيوف. تطلعّت جنيفر نحو لوغان لتعرف ما اذا كان ينظر بشغف الى اختها، كما يفعل ديرك، فتبين لها أنه يحدق بها. اقتربت من ديرك، وكأنها تتحصن به أو تحتمي بوجوده. شعرت بأنها لا تكاد تسمع صوت لوغان عندما تولّى التعريف بينهما، ولكن صوت الأم أعادها الى الواقع. قالت لها:

- جيني غلين. يا له من اسم شاعري يناسبك تماماً. أنا اعتبر شقيقتك كابنتي تماماً. وبما أن هذا الأمر يجعلك جزءاً من العائلة، فانني أصرّ على أن تناديني باسمي الاول... ماندي.

لم تتمكن جنيفر إلاّ من الاعجاب بهذه السيدة الكريمة. انها جذابة وساحرة، مثل ابنها، ولكنها تبدو مخلصة وطيبة للغاية. أخذت

معطفها الثمين ووضعته فوق معطف ديرك، بانتظار تعليقهما، ثم سارت أمامهم نحو قاعة الاستقبال. اقترب اريك من لوغان وبدأ يحدّثه همساً. شعرت جنيفر بأنّ ابن اختها يخطّط لأمر ما. تطلعت ولوغان في وقت واحد تقريباً نحو المكان الذي أشار اليه اريك، فتبينّ لها أن الصبي خصم عنيد وذكي.

اقترب لوغان من شيلا قائلاً:

ـ لديك ابن رومنطيقي يصرّ على تنفيذ تقاليد الأعياد بكاملها. . . وأنا لا أقدر أبداً على رفض دعوة لتقبيل امرأة جميلة.

لم تستغرق قبلته اكثر من لحظة، ولكن جنيفر أحست بموجة عارمة من الغيرة لم تعرف لها مثيلاً من قبل. صفق الجميع باستثناء جنيفر. أدركت أنّ ملامح وجهها تعكس شعورها الغاضب بصورة جلية، فأسرعت نحو الغرفة التي خصصت لأغراض الضيوف ووضعت المعطفين على السرير. أمسكت بالطاولة لئلا تقع! يا للسخرية! كيف يمكنها أن تشعر بالغيرة! لا، لا يمكن! انها تحتقر الرجل وتكرهه! لا شك في أنه الغضب، وليس الغيرة! طبعاً، انه الغضب من تصرفاته وأساليبه! تمنّت بصدق واخلاص أن يكون الغضب سبب انفعالها وارتباكها.

ـ هل هذا هو المكان الذي تضعون فيه المعاطف.

أدارت وجهها نحو لوغان بسرعة، فيما ظلت يداها ممسكتين بالطاولة الموجودة أمامها. رأته يحول نظره عنها الى السرير. سيطرت على اعصابها قليلاً، وقالت:

ـ ليس لدينا مكان آخر أفضل منه.

خلع معطفه ورماه على السرير، ثم نظر اليها وسألها ببرودة:

ـ كان لدي انطباع واضح قبل بضع دقائق بأنك اردت ضرب وجه أحد الموجودين. فهل كان وجهي أم وجه شيلا؟

تنفست بصعوبة وردت عليه بحدة:
- اعتقد انك مغرور الى أبعد الحدود.
- ربما، ربما. لاحظت قبل قليل أنك ستخجلين كثيراً من مبادلتي قبلة ولو تقليدية أمام الناس الآخرين... وانك تفضلين مكاناً منفرداً ومنعزلاً.
شهقت بغضب عارم، فلم يعرها اهتماما يذكر واضاف قائلا:
- طردت الفكرة من رأسي، لأنني تصورت الخجل والحياء اللذين ستصابين بهما من جراء ذلك. هل تعرفين أن اللون الأخضر يبرز احمرار شعرك؟
شعرت بأنها ضعيفة أمامه، وغير قادرة على مواجهة نظراته وتحمل كلماته. أدارت له وجهها وقالت:
- آسفة لأن شعري لا يعجبك.
قال لها بصوت خافت ناعم، يحمل الكثير من الاغراء:
- يعجبني كثيرا.
ثم وضع يده فجأة على عنقها، وراح يداعبها قائلا:
- سمعت أن العنق هو موضع حساس لدى المرأة هل هذا صحيح؟
شعرت بالنار تسري في عروقها، فاستدارت نحوه بعصبية وقالت بصوت منخفض تغلب عليه الحدة والعصبية:
- توقف! ارفع يديك عني!
أجابها ببرودة مثيرة للأعصاب:
- احس بتسارع نبضك، أيتها العزيزة.
حدّقت طويلا بعينيه البنيتين الساخرتين، وهي خائفة مذعورة كان يعلم تماما ماذا يفعل لها وكيف يؤثر بها. ومما زاد في غضبها حنقها انه قادر على مراقبة رد فعلها وانزعاجها. قالت له بلهجة

قاسية:
- أحتقرك، أحتقرك! انك... تمثل كل ما احتقره وازدريه في الرجل. تريد من كل امرأة تلتقيها أن تصبح غنيمة لغرورك!
- كم يسليني أن أراك معتدّة بنفسك وواثقة منها الى هذه الدرجة، مع أنك تشعرين بميل قوي نحوي.
صرخت به بانقباض بالغ:
- اشعر نحوك بميل قوي؟ يا للغرور الفارغ والتافه! الاشمئزاز هي الكلمة الصحيحة، يا سيد تايلور!
ضحك لوغان وقال:
- ستكون علاقتنا كعاصفة هوجاء.
تركت الغرفة غاضبة، ولكن المسافة التي تفصلها عن غرفة الاستقبال ساعدتها على الحدّ من حنقها وانفعالها. حملت سيندي وأجلستها على ركبتيها، متفادية بذلك نظرات لوغان المفعمة بالاستهزاء. ارتاحت اعصابها تماماً بعد فترة قصيرة من الوقت، وبعد الاستماع الى عدد من اغنيات الميلاد الهادئة والحنونة، سرّها أيضاً قيام حديث بين شيلا وديرك، وانعدام روح العداء بينهما. تطلعت نحوها بامتنان، فيما نظرت الى لوغان باشمئزاز وازدراء. كان يصغي بانتباه بالغ الى السيد جفريز، والد زوج اختها. وسمعت سيندي تسأل للمرة السادسة:
- الم يحن الوقت بعد لنفتح هدايانا؟
تدّخلت السيدة تايلور على الفور، قائلة:
- انا موافقة مع سيندي. حان الوقت لانهاء فترة الانتظار والترقب.
هجم الأولاد الثلاثة على شيلا، فضحكت وقالت:
- حسناً، حسناً. أيها الجد الحبيب، هل تشرفنا بتولي مهمة توزيع

الهدايا؟

وزّعت الهدايا على الجميع، وتحوّلت القاعة خلال لحظات الى قفير نحل. ضحكات سرور عالية، وأوراق ملونة تتطاير هنا وهناك، الصغير على الأرض والكبيران يقفزان بفرح وسعادة... وجنيفر تتردّد في فتح هديتها من لوغان. حملت السيدة تايلور الكتاب الذي تلقته من جنيفر، وقالت لها بارتياح بالغ:

- اوه، جيني، شكراً جزيلا! لا شك في أنّ أحداً أخبرك عن تعلقي الشديد بمثل هذه القصص.

هزّت جنيفر رأسها حياء، ثم تحول انتباهها فجأة الى اختها التي رفعت عقداً فضياً جميلا وصرخت باعجاب:

- انه رائع، يا لوغان.

نظر اليها بحنان ظاهر، وقال:

- يعتقد بعض الهنود أن كل شخص يضع مثل هذا العقد حول عنقه يتمتع بالسعادة والحظ الجيد. آمل في أن تكون هذه الهدية المتواضعة رمزاً لجميع الاشياء التي أتمناها لك، يا شيلا.

تضايقت جنيفر من كلامه، فحوّلت نظراتها نحو امه... آملة في تخفيف الآلام التي بدأت تعصف بصدرها. تلاقت النظرات بعد لحظات وجيزة، فأحست جنيفر بأنّ ابتسامة السيدة تايلور تحمل في طياتها أكثر من مجرد البهجة بالعيد وبهداياه. ارتبكت فجأة وشعرت بأن الأحداث تتسارع حولها، بشكل يفوق مقدرتها على الاستيعاب والتفهم. تطلّعت نحو ديرك، فشاهدته متجهم الوجه بعض الشيء، ويحاول اخفاء امتعاضه بمساعدة سنيدي في جميع العابها. احتل لوغان على الفور المقعد القريب من جنيفر، وهو يحمل في يده هديتها له. ابتسم وقال:

- أتردّد كثيرا في فتح هذه الهدية، بسبب حجمها الكبير ووزنها

الثقيل.

اختفت فجأة البهجة الخبيثة التي شعرت بها عندما ابتاعت هذه الهدية، وتمنت لو أنّ بامكانها انتزاعها من يده. لكنه لم يترك لها أي مجال على الاطلاق، اذ فتحها بسرعة وراح يتأملها بهدوء وبرودة. أين ردّ الفعل القوي الذي توقعته عند مشاهدته تلك الهدية؟ بدأت تشعر بالندم لابتياعها، لأنها لم تحقق لها هدفها.

انفجر ضاحكاً بشكل قوي ومفاجىء، ممّا حمل الجميع على التطلع نحوه. احمر وجهها حياء، وهو يرفع سلة الفاكهة ويقول:

- انت وحدك، يا جيني غلين، يمكنك أن تفكري بهدية كهذه.

ثم تطلع نحو امه وشرح لها السبب، قائلا:

- أخبرت جيني مرة عن عادتي في تذوق جميع أنواع الفاكهة قبل أن أختار النوع المناسب، وها هي هديتها الآن تجمع كل شيء... من البرتقال حتى تفاح التجربة والاغراء.

ضحك الجميع بتردّد وحذر، باستثناء السيدة تايلور التي ضحكت من صميم قلبها. مرّت لحظات خاطفة، ثم عاد الساهرون الى فتح هداياهم وتبادل الاحاديث المعتادة، فتحت جنيفر هديتها من ديرك، وشكرته على ذوقه السليم في اختيار ذلك النوع الممتاز من العطور. لم يبق معها من هداياها... سوى العلبة التي تسلمتها من لوغان. تردّدت في فتحها أمامه. أنقذتها اختها في اللحظة المناسبة، اذ طلبت منه أن يساعدها في مسألة ما خارج القاعة.

نزعت جانباً من الورقة بسرعة، فظهرت بداخلها علبة مجوهرات سوداء مستطيلة، فتحت العلبة بيدين مرتجفتين، واضطّرت لكتم شهقة اعجاب... وسرور. شاهدت سلسلة ذهبية، وقلادة رائعة تضم مجموعة من الأحجار الكريمة النادرة. اوه! لا تعرف الكثير عن المجوهرات، ولكنها شعرت بأنها هدية باهظة التكاليف. أغلقت

العلبة وهي تقول لنفسها ان عليها اعادتها الى صاحبها... على رغم اعجابها الفائق بمحتوياتها الجذابة.

- جيني، هل يمكنك أن تساعديني بتقديم الشراب؟

أرغمت نفسها على الابتسام لأختها، ووضعت هدية لوغان جانباً وأسرعت نحو المطبخ، وتجنّبت النظر اليه حينما مرّت قربه ولكنها سمعته يقول لها بعد لحظات:

- لا شك في أنّ شيلا تعد شرابا لذيذاً للغاية.

ابتسمت له بهدوء، فيما كانت تحاول التنفس بطريقة طبيعية. نظر الى عنقها، وقال لها بلهجة عادية للغاية:

- يبدو ان القلادة لم تعجبك!

- بلى، فهي جميلة جدا. ولكن... ولكن لا يمكنني أن اقبلها منك.

غابت الابتسامة عن وجهه تدريجاً، وهو يسألها بشيء من الاستغراب:

- لماذا؟ لماذا؟

- لأنها غالية الثمن الى درجة كبيرة، ولا يصح أن أقبلها منك.

- لا يصح بالأحرى أن نتصرف كغريبين عن بعضنا. ألم نمض ليلة بكاملها معاً في فراش واحد؟ لا يجوز أبداً بعد تلك الليلة اعتبار مجوهرات مزيفة هدية لا يمكن قبولها!

فتحت جنيفر فمها دهشة واستغرابا، وقالت بصوت هامس تقريبا:

- مجوهرات مزيفة؟ تصوّرت أنها حقيقية.

ابتسم بخبث، فشعرت بالاذلال لتصورها أنه اهداها جواهر حقيقية. قالت:

- في هذه الحالة، يمكنني قبولها بكل سرور.

ـ عظيم. ألم أقبل هديتك بالروح التي كنت تتوقعينها؟

احمرّت وجنتاها لدى سماعها ذلك السؤال، ولكن الاصفرار عاد يسيطر على خديها عندما قال لها:

ـ اخبرتني شيلا بأنك أنت التي وجهت الدعوة الى ديرك.

ـ نعم، هذا صحيح.

ـ لم أدرك أنكما أصبحتما صديقين حميمين الى هذه الدرجة، خلال أقل من اسبوع واحد.

ـ لا أعرف أننّا صديقان حميمان. كل ما أعلمه أننا نكن لأختي عاطفة قوية، أعتقد أن ديرك سيكون ممتازاً كزوج ووالد.

ـ حقاً؟ يبدو أنك اخذت الموضوع على عاتقك، وقرّرت لأختك أمر مستقبلها وسعادتها. آمل في ألاّ تحاولي استخدام الاسلوب المباشر، لأنه لن ينجح مع شيلا. في اي حال، أنا موافق معك على نقطة واحدة. أتصوّر أن الوقت قد حان كي تتزوج مرة اخرى.

أحست ان بقية كلماته ظلت معلقة في الهواء. لو انهى جملته، لقال لها انه بالطبع يرشح بنفسه... عوضاً عن ديرك. رفعت رأسها بعنجهية نحوه، وسألته بهدوء:

ـ هل ستحاول منعي من بذل مثل هذه المحاولات بالتعاون مع ديرك؟

ـ لن أقف ابداً في وجه سعادة شيلا. ولكنّ القرار عائد لها وليس لي أو... لك انت، يا جيني غلين. سآخذ هذه الصينية والصحون، قبل أن يرسلوا وراءنا فوقة مطاردة.

خرج من المطبخ، وهي تحدّق به حزينة يائسة. كانت متأكدة في تلك اللحظة، اكثر من أي وقت مضى، أن ديرك يحب اختها حباً عميقاً. ولكن، هل من الممكن أن يكون حب لوغان لشيلا أقوى وأعظم من ذلك؟ ألم يقل انه مستعد للتنحي جانباً، اذا كان ذلك

يسعد اختها؟ تألمت عندما تخيّلت صحة هذا التحليل. . . وشاهدت شيلا بين ذراعيه! كاد يغمى عليها من شدة التأثر والعصبية!

لم تنتبه الاّ الآن، إلى أنّ السبب الحقيقي لما تقوم به بالنسبة لشيلا وديرك، هو وقوعها بحب لوغان تايلور! حبها له أعمق بكثير من مجرد النزوات، كما قال لها هو بنفسه اكثر من مرة. لا، ليس ذلك صحيحاً تماماً! فغيرتها من اختها التي تحبها كثيراً، تهزّ عظامها وتشلّ عقلها وتفكيرها! واكثر من ذلك أن لوغان يحب شيلا لدرجة مذهلة، تدفعه حتى الى تناسي سعادته ورغباته. هل يمكنها أن تكون بعيدة عن الأنانية مثل لوغان؟

ترقرقت الدموع في عينيها، فجففتها بسرعة. كانت متأكدة من أمر واحد على الأقل. . . يجب الاّ يعرف أحد أبدا حقيقة مشاعرها، وخاصة شيلا أو لوغان. بقيت تلك السهرة هي تجربتها الاولى في مجال اثبات الذات والارادة. تنهّدت بقوة وأرغمت نفسها على الابتسام، ثم عادت الى قاعة الاستقبال. صممت على الاّ تدع أحداً يعرف السر الذي يقلقها ويعذبها. . . ويطعنها في الصميم.

٧ - باردة ولا تعرفين الحب!

أمضت جنيفر الأيام الخمسة الأولى من فترة العيد بصورة عادية، ولكن اليوم السادس تحول الى مفاجأة.

شهدت العطلة تدفقاً للنزلاء الذين استغلوا اجازاتهم للتمتع برياضة التزلج، وبأسباب اللهو والتسلية التي يوفرها لهم الفندق. وكان لوغان حاضراً طوال الوقت لمساعدة شيلا في ادارة الدفة. اخذت جنيفر كافة الاحتياطات لتفادي الاقتراب منه بقدر الامكان، مستعينة بديرك هاملتون لاقامة حاجز بوجه جاذبية لوغان وسحره. ولكنها لم تتمكن من تخفيف خفقان قلبها كلما وجه اليها نظراته المشبعة بالجمال والاغراء. ولم تقدر ايضاً على كبت مشاعر الغيرة والحسد، كلما شاهدته مع اختها.

حاولت التظاهر بأنها مرحة ومسرورة، ولكنها احست بوهن تلك المحاولات اليائسة. كاد قناع الفرح المصطنع يهوي ويتحطم، عندما رأت ديدي هنتر... الشقراء اللعوب التي التقتها في المطار... تغازل لوغان وتمازحه. شعرت بالغيرة... بالحسد المؤلم... والانقباض... والتعاسة...! آه، لو كان بامكانها التطلع الى عينيه بالسهولة التي تراها في نظرات هذه الشقراء اللعينة... وتشعر بدفء رجولته وشبابه موجهاً اليها... دون سواها! لا، لا يمكنها ذلك! لن تسمح لها كرامتها وعزة نفسها بالارتماء امامه على هذا الشكل! لن تقبل بالفتات... ولن تسمح لعواطفها بمنافسة اختها، التي نالت اكثر من نصيبها من العذاب والآلام!

وصلت موظفة الاستقبال التي ستحل محلها في فترة ما بعد الظهر، فاستعدت جنيفر للعودة الى البيت. ارتدت بسرعة معطفها الواقي من المطر، وهي تسمع بانزعاج ضحكات ديدي هنتر. هرعت عبر القاعة الرئيسية كيلا تواجه لوغان، الذي سيكون بالتأكيد مع ديدي. وقفت امام الباب وهي تتأمل بذهول وجوه القادمين الجدد. توقف رجل طويل القامة امامها، وقال بدهشة واضحة:

- جنيفر!

حدقت بعينيه اللتين تنظران اليها باستغراب بالغ، ولم تعرف ماذا تقول. وضع يديه على كتفيها، وخاطبها بلهجة من لا يصدق عينيه قائلاً:

- جنيفر! لا اصدق اني اراك الآن امامي!

استعادت انفاسها تدريجاً، وقالت له هامسة:

- برادلي! ماذا تفعل هنا؟

ردد سؤالها ضاحكاً، ثم ضغط على كتفيها وكأنه يحاول ضمها اليه، واضاف قائلاً:

- لن تعرفي مدى العذاب الذي لقيته وانا احاول ايجادك، او الاستفسار عنك وعما اذا كنت على ما يرام. وها هو القدر يرسلك الي! يا لحظي العظيم!

نظرت اليه بعينين تقدحان شرراً، وهي تتذكر الاذلال الذي عانته مع هذا الرجل، ثم قالت:

- كيف عرفت انني هنا؟

- لم اعرف! اردت الابتعاد لبعض الوقت. اتخذت القرار في اللحظة الأخيرة. لم اجد غرفة شاغرة في فنادق كولورادو فأتيت الى هنا.

ثم ابتسم ومضى الى القول بنبرته الهادئة المعتادة:

ـ لا تنظري الي هكذا، يا جنيفر. اعلم ان الذي حدث امر لا يمكن غفرانه.

ابتعدت عنه بعصبية بالغة، قائلة:

ـ لا اريد التحدث عن هذا الموضوع.

ـ انت مخطئة. يجب ان نتحدث عنه، وبكل صراحة.

اقترب منهما لوغان في تلك اللحظة، فنظر الى برادلي بتأدب قبل ان يقول لجنيفر:

ـ عفواً! تسألك اختك اذا كان بامكانك احضار الأولاد من المدرسة، لأن لديها اليوم اعمالاً كثيرة ستمنعها من ذلك.

ـ طبعاً، طبعاً.

تطلع لوغان نحو برادلي ثم نحو جنيفر، متوقعاً منها ان تعرفه على الرجل الآخر. لم تكن راغبة في ذلك ابداً، ولكن نظراته الحازمة ارغمتها على القول:

ـ برادلي، اعرفك بالسيد تايلور... صاحب هذا الفندق.

ـ برادلي ستيفنسن، صديق من مينابوليس.

تصافح الرجلان بتهذيب، واستهل لوغان الحديث بالقول:

ـ اننا مسرورون بوجود أحد أصدقاء جيني بيننا. هل لديك اجازة طويلة؟

ـ ثلاثة ايام فقط؟ آمل برؤية جنيفر خلالها مرات عديدة. وبما انك رب عملها الآن، فمن الواجب انذارك مسبقاً بأنني سأبذل قصارى جهدي لاقناعها بالعودة معي لاستعادة وظيفتها السابقة.

تطلعت جنيفر بخوف وذعر شديدين، فيما كان لوغان يسأل مستفسراً:

ـ وظيفتها السابقة؟

ـ نعم. كانت جنيفر سكرتيرتي الخاصة، بالاضافة الى... الى

امور اخرى.

حدق لوغان بوجهها المحمر حياء وانفعالاً، ثم قال لبرادلي بغطرسيته المعهودة:

- انه امر مؤسف حقاً لأن جيني لم تبلغني مسبقاً بموعد وصولك. كان بامكاني احلال موظفة اخرى طوال الأيام الثلاثة هذه. ولكننا الآن في ذروة الموسم، ولا يمكن بالتالي الاستغناء عنها دقيقة واحدة.

رد برادلي على التحدي الواضح في صوت لوغان بقوة شخصيته المعتادة، ونبرته الهادئة. قال:

- اعرف، اعرف ذلك.

ثم امسك بذراع جنيفر وجذبها نحوه، قبل ان يقول بشيء من الامتعاض:

- والآن اعذرنا، يا سيد تايلور!

انتظر لحظة حتى غاب عنهما لوغان، وقال لجنيفر:

- لنذهب الآن الى مكان يمكننا التحدث فيه بحرية.

- لا... لا يمكنني ذلك. علي احضار الأولاد من المدرسة. كذلك فلن تعود شيلا الى البيت الا في وقت متأخر جداً، مما يعني انني مضطرة للبقاء معهم والاهتمام بهم.

- سأحضر اذن الى البيت.

اجابته بسرعة وبحدة:

- لا! لا!

ثم اضافت بهدوء:

- لن يسمح لنا وجود اولاد ثلاثة بالتحدث في امور خاصة.

- نلتقي غداً.

- سأكون في عملي طوال النهار.

- جنيفر، اريد ان اتحدث معك على انفراد، ولن اقبل بأي اعذار

تبعدك عني خلال هذه الفترة الوجيزة. يجب على الأقل منحي فرصة للتفسير والايضاح. اذا قررت بعد ذلك الاصرار على موقفك هذا، فانني اعدك منذ الآن بانني لن ازعجك او حتى احاول مقابلتك والتحدث اليك.

من كان سيظن قبل شهر من الآن بانها ستتصرف معه بمثل هذا الجفاء وهذه البرودة؟ تنهدت، وقالت:

ـ حسناً. ستقام غداً في الفندق حفلة رأس السنة الجديدة. ولكوني شقيقة شيلا، وموظفة في الفندق، فاني مضطرة لحضورها. ولكني متأكدة من انه سيكون لنا بعض الوقت بعدها كي نتحدث.

ـ لن تندمي على ذلك ابداً، يا جنيفر.

لم تؤثر بها ابتسامته الجميلة الجذابة ولم تحرك عواطفها، كما كان يحدث سابقاً. قالت له بتأدب:

ـ اعذرني الآن. يجب ان اذهب.

ـ الى اللقاء غداً، باذن الله.

قبلها على جبينها بتودد وحنان، هزت رأسها، وتوجهت بسرعة نحو الخارج.

سألتها عاملة الهاتف:

ـ هل انت ذاهبة الآن الى الغداء ، يا جيني؟

ـ نعم. سأعود خلال فترة قصيرة.

ـ متأكدة.

نظرت جنيفر باستغراب الى زميلتها كارول، وسألتها عما تعني بذلك. ضحكت الشابة بصوت عال الى حد ما، وقالت:

ـ اذا ذهبت انا لتناول طعام الغداء مع رجل وسيم وجذاب، فسوف امضي ساعة او اكثر مع المقبلات فقط!

ـ عما تتحدثين، يا كارول، وماذا تقصدين؟

- جاء رجل ساحر صباح اليوم، وسألني عن موعد ذهابك الى الغداء. تصورت انك ستتناولين معه الطعام. يا لك من شابة سعيدة الحظ! ويا له من رجل جذاب يسلب العقول!

لم يذكر برادلي امامها شيئاً عن الغداء. ابتسمت لزميلتها، وقالت:

- الجاذبية الحقيقية هي في القلوب والعقول. لا تدعي الشكل الحسن يخدعك، يا كارول. ففي بعض الأحيان، تكون داخلية الانسان فاسدة وقبيحة.

ضحكت كارول باغراء ودلال، وقالت:

- لو كان لدي رجل كهذا، لفعلت اي شيء في الدنيا كي ارضيه واسعده. اوه، اذكر الذئب...

تطلعت جنيفر نحو المكان الذي اشارت اليه كارول، فشاهدت رمز الوسامة والجاذبية... برادلي.

- مرحبا، يا جنيفر. ما رأيك لو نتناول معاً طعام الغداء قبل ان اذهب الى التزلج؟

- برادلي، انا...

تدخل لوغان بسرعة، قائلاً:

- آسف، يا سيد ستيفنسن. جيني غير قادرة على ذلك.

- لم لا؟

اجابه لوغان بلهجة حازمة:

- نتبع في هذا الفندق سياسة تمنع اختلاط الموظفين بالنزلاء بصورة علنية. اذا كان لا بد من وجودكما انت والآنسة غلين معاً، فمن الواجب ان يتم ذلك بعد انتهاء عملها.

- اين هي المشكلة الكبرى اذا تناولت واياها وجبة خفيفة؟ الا يمكن استثناء هذا اللقاء القصير؟ وصلت امس من مينابوليس،

وسأعود اليها بعد غد!
تطلع بسخرية نحو جنيفر، التي كانت متضايقة الى ابعد الحدود، ثم ابتسم لبرادلي باسف وقال:
- لا ادري كيف يمكنني مساعدتك. انا متأكد من ان كل قضية تصبح خاصة وهامة في عين صاحبها.
مارس برادلي ضبط النفس، وسأله بهدوء مصطنع:
- وهل هذا هو قرارك الأخير؟
- نعم. اعذرني الآن، فلدي اعمال هامة تتطلب اهتمامي الشخصي.
هز رأسه لكل من برادلي وجنيفر، وعاد الى المكاتب الخاصة التي تقع وراء مكتب الاستقبال. تبادلت جنيفر وزميلتها كارول النظرات الحائرة، ثم نظرت نحو برادلي مذهولة غاضبة. حدق بها بعينين تشتعلان حنقاً، وقال:
- لا شك في انه احد اكثر الاشخاص غروراً وغطرسة وتسلطاً...
- صحيح، ولكن هذا الأمر لا يغير التعليمات المتبعة في الفندق. في اي حال، وقتي لا يسمح لي الا بتناول سندويشة صغيرة. سأراك الليلة، يا برادلي.
اجابها بصوت عال، قبل ان يخرج غاضباً من بهو الفندق.
- حسناً، وآمل في الا اضطر لرؤية هذا الدخيل المتطفل مرة اخرى!
همست كارول في اذنها، خوفاً من ان يسمعها لوغان.
- ما هذا الهراء الذي سمعته قبل قليل؟ لم اعلم ابداً بوجود اعتراضات على تناول احد الموظفين الطعام مع نزلاء الفندق. كل ما في الأمر اننا ندعوهم الى طاولة الموظفين.

- اعرف ذلك، ولكنني اصبحت على ما يبدو الاستثناء الوحيد. . . ومن المؤكد انني اريد معرفة السبب!

- وهل ستسألينه؟

- اذا . . . اذا سنحت لي الفرصة. اما الآن، فسوف اذهب لتناول طعامي بمفردي.

اقيمت الحفلة في اطار بعيد جداً عن الرسميات والمظاهر. ارتدى كل شخص ثيابه حسب مزاجه، فظهر البعض بثياب التزلج فيما اصر اخرون على ارتداء الملابس الرسمية باناقتها. زينت جنيفر صدرها بالقلادة التي اهداها اياها لوغان، فكان لمعانها على فستانها الأبيض ساحراً وملفتاً للنظر.

احضر لها برادلي كوباً من العصير، فقبلته منه شاكرة. لم يبتعد عنها طوال السهرة الا نادراً، مع انه دأب على توجيه ابتساماته ونظراته الساحرة الى فتيات اصغر سناً واكثر جاذبية. سنحت لهما فرص متعددة للتسلل بعيداً عن اجواء الحفلة، ولكن جنيفر شعرت بالامتنان لأنه لم يحاول استغلال تلك الفرص. كانت بحاجة ماسة للمرح والضجيج، ولالهاء نفسها بما يدور حولها من بهجة وصخب. رأت لوغان واقفاً مع ديدي وجماعتها. كان يصغي بانتباه لأحاديث الشقراء اللعينة، ولكنه بدا بعيداً عنها في افكاره واحاسيسه.

تألم قلبها كثيراً عندما شاهدت اختها تقترب منه وتمسك بذراعه. . . وتصبح محور اهتمامه وانتباهه. تحدثا لفترة وجيزة، ثم هزت شيلا رأسها دليل موافقتها على ما قاله لها. ازداد عذابها وتأثرها، وهي تلاحظ تأمله جسم اختها الجميل. وضع برادلي يده بنعومة على كتفها وطلب منها ان تراقصه. وافقت بدون تردد، آملة في ان تتمكن من اغراق همومها وافكارها مع تلك الموسيقى الحالمة. اغمضت عينيها واسندت رأسها على صدره. لم تدرك ان اصابعها

اطبقت بقوة على كتفيه، الا عندما توقف فجأة عن الرقص. ابعدت رأسها عن مكانه المريح، لتحدق بذهول في وجه لوغان الساخر. استغل التقليد المتبع في مثل هذه الحالات، الذي يسمح للرجل بأن يستأذن من آخر لمراقصة رفيقته حتى قبل ان تنتهي الرقصة. قال باسماً:

ـ هل من اعتراض على حلول المدير الجديد محل المدير القديم، ولو لبعض الوقت؟

قبل برادلي الطلب بكثير من الاستياء، وابتعد عن رفيقته التي وقفت مذهولة حائرة. توترت اعصابها وعضلات جسمها عندما طوق لوغان خصرها بذراعه. ابعدت نفسها عنه قدر الامكان، ووضعت يدها على كتفه بدقة وروية. ارتبكت ... كادت تتعثر... لم تعرف كيف تتبع خطواته البسيطة السهلة... نظرت حولها لتتجنب التطلع اليه. استاء على ما يبدو من تصرفاتها، فقال لها بحدة:

ـ ان لم تتمكني من اراحة اعصابك، فالأجدر بنا ان نجلس.

شعرت باحمرار وجنتيها وتسارع خفقان قلبها، ولكنها ارغمت نفسها على اجابته بحدة مماثلة:

ـ لم احب ابداً في حياتي الرقصات التي يمليها علي الواجب.

ضغط بقوة على مرفقها، ثم ابعدها بسرعة الى احدى الزوايا المظلمة تقريباً، وقال:

ـ اتساءل بكثير من الاستغراب عن الأمور التي... تحبينها، يا جيني غلين!

ـ وماذا عنك انت وعن عقدتك النفسية بالنسبة الى الموظفين والنزلاء؟

ـ تصورت انك لا ترغبين في وجود الرجل، الذي قلت انه

تصرف معك بدون لياقة. يبدو انك غفرت له جميع الأخطاء السابقة.

دهشت جنيفر لأنها لم تتوقع رؤية مثل هذه الملامح الوحشية القاسية في وجه لوغان. قالت له بصوت ضعيف انها سامحت برادلي على تصرفاته. ولكن... كيف يمكنها ان تطلع لوغان على السبب الحقيقي لذلك؟ سامحته فعلاً، لأنها لم تعد تهتم به. لم يعد برادلي يهمها اطلاقاً! اشعل لوغان سيكارة بعصبية بالغة، وقال:

- يا لشهامتك ونبل اخلاقك! هل يعني هذا انك ستذهبين يوم الأحد؟

- لا، لا يعني ذلك ابداً!

- من المؤكد انك ستصلين بالمصالحة الى ابعد الحدود، اليس كذلك؟

- لم تتم بعد اي مصالحة، وحتى اذا تمت...

توقفت جنيفر عن اتمام جملتها، وراحت تفكر بهذا الاحتمال الصعب. هل تجرؤ على خداع نفسها بامكانية اعادة العلاقات مع برادلي الى وضعها السابق؟ هل ستمكنها هذه العلاقة من حماية قلبها وعواطفها ضد هجمات لوغان المتكررة؟ هل يمكن لتلك الروابط ان تحصن احاسيسها ومشاعرها؟ لا، ولكن...

ادركت فجأة انها غير مضطرة لاقفال الباب نهائياً في وجه برادلي... على الأقل امام عيون الآخرين. هذه هي حجتها، اذا قررت يوماً مغادرة جاكسون. تنهدت بصمت، ومضت الى القول:

- اذا تمت اي مصالحة، فلن اسافر على الفور. لا اريد الانجراف وراء عواطفي ومشاعري. سأمنح نفسي وقتاً كافياً للتفكير بالموضوع. اضافة الى ذلك، فانا لا انوي ان يسبب ابتعادي المفاجىء عن شيلا اي مشاكل لها ولأولادها.

ـ اعجب كثيراً كيف تتصرف شابة مثلك بهذه البرودة والواقعية تجاه شعور قوي كالحب. الست خائفة من القدر، ومن احتمال اختطافه منك هذه الفرصة السانحة؟

تأمل جسمها بدقة، فأحست بالدماء الحارة تصعد فجأة الى خديها. ثم سألها بشيء من التهكم:

ـ وماذا سيحدث لو انه وجد فتاة اخرى ليست هادئة ومتعقلة مثلك؟

ـ سأجازف بهذا الأمر، واتحمل نتيجة قراري بكل روية وموضوعية.

ـ انا متأكد من انك لا تحبينه! لو كنت فعلاً عاشقة، لما قررت اعطاء نفسك المزيد من الوقت للتمعن والتفكير. انت باردة جداً ولا تعرفين حتى معنى كلمة حب!

شعرت بأن قلبها توقف عن الخفقان والدماء تجمدت في عروقها. امسك بذقنها ورفع رأسها نحوه، ثم قال لها بغضب واحتقار:

ـ تمتعي بانتصارك عليه وبحمله على الخنوع امامك! ولكنك لن تتزوجيه!

ـ يا لك من متطفل مغرور! انا لست شيلا، يا لوغان تايلور! لن اسمح لك بتسيير مجرى حياتي كما تريد وتشتهي!

كان الانفعال الشديد بادياً بوضوح على وجهها وفي عينيها، ولكن قلبها كان يقول لها ان لوغان هو كل شيء في حياتها... والحياة بدونه مجرد وجود وانتظار نهاية. نظر اليها بتحد، وقال بلهجة حازمة وباردة:

ـ لن تتزوجيه ابداً، يا جيني غلين!

ـ ما اقوم به ليس من شأنك اطلاقاً.

راقبته بعينين حزينتين وهو يقف قرب شيلا، ثم يطوق خصرها

بذراعه ويأخذها الى حلبة الرقص. ابتسم لها بمودة، فشعرت بأنها وصلت الى اسفل السلم. سمعت ديرك يقول لها:

- طلبت منها ثلاث مرات ان تراقصني، ولكنها رفضت طلبي ودعوتي كل مرة.

تبادلا نظرات الانقباض والأسى بضع لحظات، ثم قال لها ديرك جملة اخرى عن التجنب الذي تواجهه به شيلا. تنهدت جنيفر وقالت:

- لا تطلب او تسأل، بل افرض نفسك! لماذا لا تذهب الآن وتستأذن من لوغان لكي يتخلى لك عن دوره، كما يفعل معظم الرجال في مثل هذه الحفلات؟ لا يمكن لشيلا في وضع كهذا الا ان تقبل.

شاهدت لوغان يتنحى للرجل الآخر بانزعاج لم يشعر به احد غيرها، وتأملت بارتياح نظرات السعادة والأمل في عيني ديرك. استدارت بسرعة نحو الساهرين الآخرين، كي تتفادى لوغان وغضبه المحتمل. اصطدمت ببرادلي، فضمها بذراعه قائلاً:

- جنيفر! لم تعد تفصلنا عن العام الجديد سوى لحظات وجيزة. الا يمكننا ان ننهي سنة ونبدأ اخرى على انفراد؟

لما لا، فأعصابها لم تعد تتحمل ضحكات الموجودين والموسيقى الصاخبة والضجيج. لم تحتج عندما اخذها برادلي الى القاعة الصغيرة، التي لم يكن فيها احد. اسندها الى الحائط ووضع يديه حولها كيلا تتمكن من التحرك، ثم تمتم قائلاً:

- لا يمكنك تصور مدى رغبتي في الوجود معك على انفراد طوال هذه الأمسية!

- برادلي، ارجوك!

- لا الومك ابداً على ابتعادك عني. فما من عذر ابداً لما قمت به

تلك الليلة. . . اعرف ذلك. ولكن. . . الا يمكنك منحي فرصة واحدة على الأقل للتعويض عن ذلك التصرف الشنيع؟

ابعدت وجهها عنه، فرفع يده عن خدها وقال:

- كنت مجنوناً وعصبياً للغاية تلك الليلة. اعترف لك صراحة الآن بانك لم تكوني آنذاك اكثر من مجرد شابة كبقية الشابات. اقنعت نفسي بوجود العشرات غيرك، ولكن طيفك بدأ يلاحقني كالحلم. . . كالكابوس. لم اتمكن من تفاديه او تجنبه، مهما فعلت واينما ذهبت. ارجعي معي، يا جنيفر.

- انتهى كل شيء بيننا، يا برادلي. انتهى الى الأبد.

- لا، يا جنيفر، لا يمكن. غضبت لأنك بريئة وطاهرة. اردتك حينئذ، ويشهد علي ربي انني لا زلت اريدك. . . واريدك اكثر من اي وقت مضى.

- انت لا تحبني، يا برادلي، اغضبتك لأنني اثرت احاسيسك، ولكنني لم اصل ابداً الى قلبك وعواطفك. كن مخلصاً وصادقاً مع نفسك. فلو لم تلتق بي صدفة هنا، لكنت نسيتني بعد شهر واحد من الآن.

ضمها اليه وقال لها بصوت هامس:

- لا، ليس ذلك صحيحاً. سأثبت لك بالدليل القاطع انك مخطئة.

عانقها بقوة وحنان، فظلت جامدة بلا حراك. . . وظلت تشعر بالبرودة في قلبها. سمعت الآخرين ينشدون اغنية رأس السنة الجديدة، ويضحكون فرحين وبمرح وسرور. اغمضت عينيها بقوة، غير آبهة بان برادلي لا يعني لها شيئاً. . . لم يعد يعني لها اي شيء. هل عليها ان تنساه تماماً وتلغيه كلياً من تفكيرها؟ ولمعت صورة لوغان في رأسها، فقررت على الفور الا تتجاهل برادلي حتى النهاية.

فتحت عينيها بعد لحظان لتواجه بلوغان ينظر اليها... بقساوة بالغة. ثم... استدار نحو القاعة بسرعة وتوجه اليها بعصبية وانفعال.

٨ - العذاب والألم!

ادرك برادلي، بعد سهرة اخرى مع سكرتيرته القديمة، انها لم تعد ابداً مهتمة به... فاستقل طائرة الى مينيابوليس، عائداً بخفي حنين.

لم تخبر جنيفر احداً بالطبع عما حدث، مع ان اختها كانت مصممة على معرفة كافة التفاصيل والنتائج. اكتفت بابلاغ شيلا انها تدرس العرض الذي قدمه لها برادلي، واكتشفت ان الأمر سهل للغاية. فحضور برادلي من ذلك المكان البعيد لرؤيتها يدل على محبته لها وتعلقه بها. ليتصور الجميع انه حضر خصيصاً لمقابلتها ومحاولة اقناعها بالعودة معه، فذلك يناسب اهدافها وخططها. كرامتها التي جرحت وتألمت كثيراً بسبب حبها الشديد والذي لا رجوع عنه للوغان تايلور، تتطلب التظاهر بوجود حبيب في بلدة بعيدة.

حاولت يائسة ان تستعيض عن هذا الحب الجارف بالكراهية والاشمئزاز، ولكنها لم تنجح الا في اغضاب نفسها بين الحين والآخر. ذهبت موجات الحنق المتكررة هباء، لعدم وجود لوغان قربها. لم تتمكن من صب جام غضبها عليه، ليرد لها الكيل كيلين... وتصبح لديها بالتالي حجة قوية لمحاولة كرهه واحتقاره. بدا وكأنه يتجنبها بقدر ما كانت هي تتفاداه. لا، ليس هذا الكلام صحيحاً. فهو مضطر للابتعاد عن الفندق وتخصيص معظم وقته واهتمامه للمزرعة.

انتهى موسم التزلج، ولم يعد الفندق يشهد اي ازدحام يذكر الا

يومي السبت والأحد. اصبحت كارول قادرة على الاهتمام وحدها بالمكالمات الهاتفية وتنظيم الرحلات القليلة، بالاضافة الى مهام الاستقبال. بدأت شيلا تمارس مهامها بصورة عادية، وتمكنت جنيفر بالتالي من تمضية معظم ايام الاسبوع في البيت. لم تعد تحضر للمساعدة في الفندق الا في نهاية الاسبوع، عندما يتكاثر عدد النزلاء وترتفع نسبة الحجز.

اما ديرك، الذي عقد العزم على الفوز بقلب شيلا مهما كلفه ذلك من عذاب وتضحية، فكان كمن ينطح صخرة صماء. لم يحرز اي تقدم على الاطلاق، ولكنه لم يشعر باليأس، بالاستسلام والتراجع. زاده الرفض تعلقاً بها، واصراراً على الوصول الى قلبها ومشاعرها. وادركت جنيفر ان ديرك هاملتون هو سبب بقائها في جاكسون. فرص نجاحه في محاولاته ضعيفة للغاية، ان لم تكن مفقودة تماماً. اما اذا حدثت تلك المعجزة، فسوف يصبح لوغان متحرراً من التزاماته تجاه شيلا. تمنت من صميم قلبها لو انها قادرة بطريقة او باخرى، على مساعدة ديرك. تريد ان تضرب عصفورين بحجر واحد، ولكن اختها كانت مصممة على عدم السماح لديرك بالاقتراب منها او الاتصال بها.

فقدت الأمل، فقررت الذهاب الى السوق للترويح عن نفسها. زارت عدداً كبيراً من المحال التجارية، ولكن ذلك لم يساعدها على تحويل افكارها عن هذا الموضوع المزعج. توجهت الى الفندق لتناول طعام الغداء مع اختها، فلعلها عندئذ تضطر للتحدث عن امور اخرى. تنهدت بانزعاج وهي تفتح الباب، ثم تظاهرت بالمرح والانشراح قبل ان تحيي كارول وتسألها:

- هل تعتقدين ان شيلا منشغلة كثيراً في مثل هذا الوقت؟

- لا اظن ذلك. ادخلي الى المكتب، فهي هناك.

هزت جنيفر رأسها ثم توجهت الى الجانب الذي يضم المكاتب الخاصة. دقت على الباب بهدوء ثم فتحته، وهي تتوقع رؤية اختها وراء طاولتها. لم تجد احداً في ذلك المكتب، فاغلقت الباب واستدارت نحو القاعة لتعود ادراجها. وفجأة، سمعت شيلا تقول في غرفة مجاورة:

- لماذا تصر على ادخال اسمه في كافة احاديثنا؟

- لأنك تبذلين جهوداً مضنية لتجاهله وتجنبه.

اوه، انه لوغان! لم تعلم بعودته الى البلدة. ماذا يفعل هنا يا ترى، ولماذا يتحدثان عن ديرك؟ وسمعت اختها تقول بلهجة حازمة:

- قلت لك ان ديرك هاملتون لا يعني لي اي شيء اطلاقاً!

- لماذا لا يمكنك اذن التحدث عنه بشكل منطقي، ودون ان تصابي بذعر وهلع؟ اشعر احياناً انك تبالغين كثيراً في انتقاده ومهاجمته.

- لا تكن سخيفاً!

- انت السخيفة، يا عزيزتي. اريدك ان تتأكدي من مشاعرك تماماً، يا شيلا. لا تحوليه الى شبح يلاحقك طوال حياتك ويجعلك تندمين لاحقاً على تسرعك.

اجابته شيلا بصوت احست جنيفر بانه يحمل غصة والماً:

- الا يمكنك تصديق كلامي بأني غير مهتمة به اطلاقاً؟

- لا، لا يمكنني ذلك. عليك اثبات كلامك هذا بالدليل القاطع.

- وهل من شيء آخر يمكنني اضافته... او القيام به؟

- يمكنك اولاً التوقف عن محاولات تجنبه وتفاديه. عندما يدعوك الى سهرة او عشاء، اقبلي دعوته واذهبي معه. لن تتأكدي من زوال عاطفتك نحوه بصورة نهائية وتامة، ما لم تفعلي ذلك.

- لا، لا يمكن. هذا مستحيل، مستحيل!

- افعلي ذلك لأجلي، يا شيلا.

- لوغان، انا... انا...

لم تعد جنيفر تسمع شيئاً، فتأكد لها ان لوغان ضم اختها الى صدره. تسللت بهدوء وخفة، والألم الشديد يحز بنفسها ويعصر قلبها. كادت تبكي، ولكنها تمكنت اخيراً من ابلاغ كارول بان شيلا غارقة في عملها... وسوف تراها في وقت لاحق. خرجت من الفندق، فانهمرت الدموع من عينيها ليس بسبب حظها السيء فقط، بل لأن لوغان يحاول ارغام المرأة التي يحبها على مقابلة حبيبها السابق ليتأكد من زوال الاشباح وذكريات الماضي... عندما تعود شيلا اليه.

- جيني! جنيفر!

شعرت بيد قوية تمسك بذراعها، فرفعت يدها بسرعة وجففت دموعها. سألها ديرك باهتمام وحنان:

- ما بك؟ ماذا دهاك؟

هزت كتفيها وابعدت وجهها عنه، كيلا يكتشف المزيد من احزانها. تنفست بقوة ثم رفعت رأسها باسمة، وقالت:

- هذا هو ضعف الانثى وسخافتها. تبكي احياناً بدون اي سبب على الاطلاق.

- شاهدت مسحة الألم هذه اكثر من مرة في هاتين العينين الجميلتين. لاحظتها، عندما كنت تظنين ان ما من احد يراقبك او يتأملك.

طوق كتفيها بذراعه وجذبها نحوه بحنان ظاهر، ثم مضى الى القول:

- هيا، يا صغيرتي، اخبري العم ديرك عن اسباب حزنك وتأثرك.

ـ ليس لدي اي شيء لأخبرك عنه.
ـ اوه! لا تحاولي اخفاء الحقيقة عني، فمن الواضح انك تشعرين بالانقباض الشديد منذ مغادرة صديقك الوسيم بلدة جاكسون، اليس كذلك؟
ـ اتصور انك على حق.
ـ كنت في طريقي الى مطعم الفندق، لأتناول وجبة خفيفة من الطعام. سأشعر بسعادة كبيرة لو قبلت دعوتي وتناولت معي طعام الغذاء.
نظرت جنيفر بتردد نحو الفندق. لوغان هناك، وسوف يراها مع ديرك. رفعت رأسها بتحد، قائلة لنفسها انها لن تسمح له بالتحكم في حياتها وتصرفاتها. ردت على ديرك بالموافقة، فأدخلها الفندق على عجل قبل ان تسنح لها الفرصة بتغيير رأيها. استدعى النادلة وطلب اثنتين من وجبات الطعام الجاهزة، ثم بدأ يحدثها عن امور عادية لا علاقة لها ابداً بالأمور الحساسة او المواضيع العاطفية. ضحكت بارتياح ظاهر عندما اخبرها طرفة عن احد المعارض الفنية، ولكن الضحك لم يدم طويلاً. شاهدت لوغان ونظراته القاسية، فارتبكت بعض الشيء ولكنها عادت الى الحديث مع ديرك. اقترب منهما وتبادل معهما التحيات التقليدية المعهودة. رفض بتهذيب دعوة المجاملة التي وجهها اليه ديرك للانضمام اليهما، ثم ابتسم وقال:
ـ ـ انها صدفة جميلة حقاً ان اجدكما هنا في وقت واحد. كنت وشيلا نتحدث لتونا عن عدم تمكن جيني حتى الآن من مشاهدة جبال التيتون. اقترحت عليها ان نخصص يوماً في الاسبوع المقبل، نذهب فيه اربعتنا الى تلك المنطقة الخلابة.
لم يتردد ديرك في الموافقة على هذا الاقتراح، الذي سيمنحه فرصة ذهبية للاقتراب من شيلا والتحدث معها. ولكن جنيفر ظلت تحدق

صامتة في الطاولة امامها، وهي تفكر بسهولة انصياع اختها لتوصيات لوغان وتعليماته.

- ما رأيك، يا جيني؟

تمنت من صميم قلبها لو انها قادرة على الاعتراض، او حتى على الاحتجاج. فآخر شيء تريده في تلك الفترة العصبية من حياتها، هو ان تكون معه او قربه. ولكنها شعرت بعدم قدرتها على الرفض. هزت رأسها دليل الموافقة، وكأنها خروف يقاد الى الذبح. ابتسم لها بسخريته، المعتادة ثم تظاهر بالجدية قائلاً:

- سأتصل بمكتب مراقبة الأحوال الجوية لمعرفة اليوم الذي سيكون فيه الجو صافياً والشمس مشرقة. سأخبركم عن الموعد المحدد في وقت لاحق.

تأملها ديرك وهي تلاحق لوغان بنظراتها الزائغة، وقال لها:

- لست مسرورة كثيراً بهذه الدعوة، على ما يبدو.

ماذا يمكنها ان تقول له؟ يستغلها لوغان بطريقة خبيثة مدروسة للفوز باختها! كيف تقدر على اطلاع ديرك هاملتون على السبب الحقيقي لدعوة لوغان؟ قارنت بين فرحته وتعاستها... بين سروره وحزنها، وقررت الا تخبره الحقيقة. قالت:

- اعتقد ان سبب ذلك يعود الى غطرسته وعنجهيته، والى تأكده مسبقاً من قبولنا وموافقتنا.

- وهذا فعلاً ما قمنا به، انا وانت. هل فعلنا ذلك للأسباب ذاتها، يا ترى؟

لم تجبه على هذا السؤال، لأنه سيكشف كذبها. تنهدت بطريقة تحمل الكثير من المرارة والشفقة الذاتية، ثم قالت:

- انا متأكدة من اننا سنمضي وقتاً رائعاً.

استهل الأربعة رحلتهم حوالى العاشرة صباحاً، وكان الطقس

بديعاً. الشمس مشرقة ، وخيوطها الذهبية تلمع ببهجة على ذلك الغطاء الرائع من الثلوج النقية البيضاء. ساروا بهدوء وصمت نحو احد القمم. تبادل لوغان وجنيفر بضع كلمات عن المنطقة وتاريخها، فسنحت الفرصة لديرك ان يفعل الشيء نفسه مع شنيلا. بدا وكأن ثمة هدنة غير معلنة تمت بين الاطراف المتحاربة. هل اثرت بهم عظمة الطبيعة وقدرة الخالق؟ اشار لوغان بيده الى مبنى صغير، وقال:

ـ ذاك هو الكوخ الذي تم فيه اتخاذ قرار باعلان هذا الجزء من الجبل منطقة سياحية تحظى برعاية خاصة من الدولة والسلطات المحلية. يقع الى الشمال منه مباشرة كوخ بيل مينور الذي كان اول مستوطن يقيم قرب النهر. ظل يعمل هنا خمسة وعشرين عاماً في نقل الناس وبضائعهم من ضفة الى اخرى. اخشى اننا لن نتمكن من مشاهدة الكثير، بسبب الثلوج التي اقفلت معظم الطرق. وعليه، فسوف نكتفي بما نراه على جانبي الطريق الرئيسية.

ـ لا بأس، فربما تمكنا من ذلك مرة اخرى.

ماذا قالت له؟، لا، لن تكون هناك مرة ثانية، ولئن تظل في جاكسون فترة طويلة تسمح لها بمشاهدة الجبال وهي ترتدي ثياباً صيفية. قال لها بلهجة الواثق من نفسه والمتأكد مسبقاً من النتيجة.

ـ نعم، يا جيني، سنقوم برحلة اخرى ان شاء الله.

لاحظت انه ينظر اليها بنعومة ورقة، ولكن تلك النظرات لم تحمل اي معنى خاص. تمنت ان يقول لها شيئاً اخر، ولكنه لم يفعل ذلك. التقى الأربعة مجدداً قرب السيارة، فجلست شيلا قرب لوغان في حين خصص المقعد الخلفي لجنيفر وديرك.

زال التوتر الذي كان قائماً، وبدا لجنيفر ان بقية الرحلة ستكون ممتعة لا يشوبها اي حذر او انفعال. اشار لوغان الى غابة قريبة، وقال

انها تسمى الذئب الأسود تيمناً بالغزلان ذات الأذناب السوداء التي كانت تعيش فيها باعداد هائلة. كان الثلاثة يتأملون الغابة واشجارها، ولكن جنيفر ظلت تحدق طوال الوقت بالجبال الشاهقة وتفكر بما قالته قبل قليل عن احتمال مرافقة لوغان في فترة لاحقة. اوقف لوغان السيارة الى جانب الطريق واطفأ محركها، ثم دعا ضيوفه الى مشاهدة النهر من ذلك المكان المرتفع.

وقفت جنيفر قربه بصمت، وهي تنتظر شيلا وديرك للانضمام اليهما. ولكن لوغان اخذ بذراعها، وعبر واياها الطريق. تذكرت في تلك اللحظة السبب الحقيقي للرحلة، فارتبكت واحست بالانفعال الشديد. هل تماشيه بترك ديرك واختها على انفراد؟ اليس ممكناً ان يحتاج ديرك الى مساعدتها؟ طردت هذه الأفكار من رأسها بعصبية، وقررت الا تفسد على نفسها هذه الرحلة الجميلة. وفجأة سمعت لوغان يقول لها بصوت هادىء:

- هذه هي جبال غراند تيتون بعظمتها وجبروتها.

كان المكان الذي اختاره لوغان للاشارة منه الى تلك الجبال الرائعة مناسباً جداً، لأنه يتيح للمراقب مشاهدة جميع القمم في وقت واحد.

- القمة الشامخة هناك هي التي تسمى القمة العظيمة، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر اربعة الاف واربعمئة وستة امتار. القمة المسطحة تسمى جبل موران ، في حين يسمى النهر الذي نراه من هنا يشق طريقه كالحية الضخمة سنيك ريفر. نشأت الحية من هنا. . . من منطقة براري تيتون. وهي تمتد متعرجة عبر منطقة يلوستون، ثم تعود الى الغراند تيتون قبل ان تشق طريقها بعنف عبر وادي الجحيم في ايداهوا. وتسمى الحية هناك عن جدارة. . . النهر الذي لا عودة منه.

لاحقت عيناها باعجاب الاشارات التي كان يرسمها بيده، فيما كان قلبها يخفق بقوة تأثراً بتلك المناظر الخلابة. سألها لوغان بصوت منخفض:

- هل تعجبك سويسرا الولايات المتحدة؟ انا شخصياً اتصور ان ما من منطقة اخرى في العالم تفوق الغراند تيتون ونهرها من حيث جمال الطبيعة. قد تكون هناك مناطق اخرى تماثلها جمالاً وروعة، ولكنّ ليس ثمة منطقة تتفوق عليها في هذا المضمار.

هزت رأسها موافقة، وهي تنظر اليه بحياء... علها تعرف مدى اهتمامه برد فعلها الايجابي. ابتسم لها بطريقته المعهودة، وسألها ممازحاً:

- هل تعرفين انه توجد عندنا هنا بحيرة صغيرة تحمل اسمك؟

- تحمل اسمي؟

- اسمها بحيرة جيني. اقتبس الرواد الأوائل هذا الاسم عن امرأة هندية من قبيلة الشوشون.

- اخبرني المزيد عنها.

- كانت زوجة احد اشهر الشخصيات في تاريخ الغراند تيتون، ريتشارد لي الذي يعرف اكثر بلقبه الشهير بيفر ديك. ولد في منطقة قريبة من لندن، واشترك في الحرب التي نشبت بين الولايات المتحدة والمكسيك في الاربعينات من القرن التاسع عشر. اتى في وقت لاحق ليعيش في منطقة جبال روكي وعمل بعد بضع سنوات من ذلك كدليل لفريق حكومي من العلماء والباحثين عبر وادي سنيك ريفر. اكتشفت البعثة اثناء الجولة بضع بحيرات صغيرة، فاطلق اسم عائلته على الأولى فيما اطلق اسم زوجته جيني على الثانية. كان ذلك تقديراً اضافياً لهذا الرجل الكبير.

شعرت جنيفر بأن القصة تحمل المزيد من المعلومات في طياتها،

فسألته بشوق واضح:

- وماذا عن زوجته جيني؟

- احتجزت العائلة بكاملها، في احد فصول الشتاء الرهيبة، داخل كوخ صغير جداً. اصيبوا جميعاً بداء الجدري، وكانت جيني الضحية الأولى. لم يكن ريتشارد لي مطلعاً على مثل هذه الامراض او طرق معالجتها، فباءت جميع المحاولات التي بذلها لانقاذ زوجته واولاده الستة بالفشل. ماتوا جميعاً خلال فترة اربعة ايام، فيما ظل هو طريح الفراش لأكثر من شهر. ساعدته صحته الجيدة وقوته الجسدية الهائلة على تخطي الخطر. غادر المنطقة وتزوج مرة ثانية. انجبت له زوجته الجديدة ثلاثة اولاد، ولكنه ظل مصراً حتى مماته على عدم زيارة هذا المكان.

بدا التأثر واضحاً في عيني جنيفر وملامحها، ففتح لوغان الترموس الذي يحمله وسألها بهدوء:

- هل تريدين فنجاناً من القهوة؟

شكرته بصوت هامس تقريباً، وتطلعت نحو المكان الذي يقف فيه ديرك وشيلا. كان ديرك يشير بيده الى احدى القمم المعينة، وكأنه يشرح لرفيقته موضوعاً يتعلق بذلك الجبل فنظرت ثانية الى لوغان، فلم تجد في وجهه وعينيه ما يشير الى الغيرة التي لا بد وانه يشعر بها بسبب الاهتمام الجدي الذي تبديه شيلا بحديث ديرك. قدم لها فنجان القهوة، وقال:

- اتصور انهما يبحثان موضوعاً فنياً، كلون اشجار الصنوبر في مثل هذا الضوء القوي الساطع.

- ربما، ربما.

- هل قررت ماذا ستفعلين، يا جيني؟

ارتعشت يدها لحظة وهي تسمع هذا السؤال، الذي حاول

لوغان طرحه باسلوب عادي وطبيعي. عرفت القصد من وراء سؤاله هذا، ولكنها ارادت بعض الوقت للتفكير بجواب مناسب.
سألته بهدوء مماثل:
ـ هل تعني بالنسبة لمينابوليس؟
ـ ولصديقك العزيز السيد ستيفنسن ايضاً؟
ضحكت بطريقة عصبية، وقالت:
ـ ومن قال لك انه صديقي العزيز؟
ـ هذا هو انطباعي عن العلاقة، ولكنه يبدو بالتأكيد انك تأخذين وقتاً طويلاً جداً لتقرري قبول عرضه بالزواج او رفضه.
هزت جنيفر كتفيها وارغمت نفسها على الابتسام، قائلة:
ـ لا اعتقد ان الزواج كان ضمن الأمور التي عرضها علي.
ـ لا شك في انه عرض عليك اقامة علاقة غرامية معه، في حين انك تصرين على خاتم الزواج قبل اي شيء آخر.
تطلعت جنيفر مجدداً نحو ديرك واختها، فلاحظت انهما غارقان في حديث جدي ولا يشعران بوجودها ولوغان على بعد بضعة امتار عنهما. قالت له:
ـ ربما اريد الانتظار حتى اتأكد من استقرار اختي عائلياً قبل. . .
لم تنه جملتها، فاقترب منها وكأنه يريد الهجوم عليها. نظر اليها بحدة وقال بعصبية لم يحاول اخفاء شدتها:
ـ هل تعنين انك تفكرين جدياً بالعودة الى ذلك الرجل بعد زواج شيلا؟
لاحظت بألم بالغ وبقلب جريح انه استخدم كلمة زواج، وكأنه واثق تماماً من حدوثه. رفعت رأسها نحوه بتحد، وقالت:
ـ لا تشر باصابع الاتهام الى احد، يا لوغان تايلور. انت اخر انسان يحق له التحدث عن الرجال الذين يلاحقون النساء، وانا

بالذات افضل دليل على هذا القول! الم تحاول فرض نفسك علي بعد عشر دقائق فقط من تقبيلك اختي في سهرة رأس السنة؟

وضع يديه على كتفيها وراح يهزها بعنف بالغ، قائلاً:

- سأهزك حتى تقع اسنانك من فمك!

وقع الفنجان من يدها، وهي تئن من الألم والحنق الشديدين. افزعتها نظراته الغاضبة وملامحه القاسية، فحاولت الابتعاد عنه. جذبها نحو صدره بوحشية، فيما تحولت نظراته العنيفة عن عينيها الى وجنتيها اللتين احمرتا فجأة... تسارعت ضربات قلبها بشكل جنوني، ولكنها استجمعت قواها وقالت له بصوت ضعيف مرتجف:

- هذا هو اكبر دليل على صحة كلامي.

- ربما، ولكني عرفت بدوري اشياء جديدة... يا جيني غلين. تأكد لي الآن انك لست محصنة تماماً بالنسبة الي.

ابعدت وجهها عنه بسرعة، مخافة الكشف عن المزيد من مشاعرها واحاسيسها تجاهه. قالت له، متمتمة بلهجة غاضبة:

- دعني! اتركني لا اريدك ان تلمسني!

ابتسم وسألها بخبثه المثير للأعصاب:

- هل انت متأكدة من ذلك، يا جيني غلين؟

- طبعاً، انت لست سوى زير نساء، وانا اكرهك! لا يمكنك ان تخلص لأحد الا لنفسك ولرغباتك الحيوانية المقززة!

خافت من ان يؤدي انفعالها العاطفي الى البكاء امامه، فاستعادت انفاسها بسرعة ومضت الى القول:

- عندما افكر بالكيفية التي تؤثر فيها على شيلا، اشعر...

ابعدها لوغان عنه بهدوء، وهو يقاطعها قائلاً:

- انت لا تعرفينني جيداً، يا جيني، ولا تعرفين اختك ايضاً على حقيقتها. ولكني متأكد من انك ستغيرين رأيك... عندما يحين

لوقت لذلك.

ـ هذا ما تتصوره انت!

ضحك باستهزاء، وهو يسمع نبرة الاستخفاف المصطنعة في صوتها. احست بانها كطفلة صغيرة قرب احد الجبابرة، فصرخت به:

ـ لا... لن اقبل ابداً بالرضوخ اليك والانحناء امامك، كما تفعل شيلا!

سيمنعها الكبرياء عن اظهار حبها له او البوح به، وذلك لصون كرامتها وعزة نفسها من الاذلال الذي سيصفعها به رده القاسي وتعليقه الجارح. ظهرت شعلة الغضب العنيف مؤقتاً في عينيه، ثم حلت محلها ابتسامة ذات طابع ومعنى خاصين وقال:

ـ سوف تندمين كثيراً في احد الأيام على استخدام هذا اللسان السليط في اثارة غضبي. ولكنك ستستسلمين في نهاية الأمر، يا جيني غلين، و...

توقف عن اتمام، جملته، ثم ابتسم للشخصين القادمين وقال:

ـ اتصور انكما ترغبان في تناول الطعام وشرب القهوة.

ابتسم ديرك بدوره وتطلع نحو شيلا بحنان، قائلاً:

ـ يا لها من فكرة عظيمة.

فتح لوغان احد البابين الخلفيين ودعا جنيفر الى الدخول... ثم تبعها بسرعة، بحيث اضطر ديرك للجلوس في مقعد السائق. وما ان انتهى الجميع من تناول وجباتهم الخفيفة وشرب القهوة، حتى رمى لوغان مفاتيح السيارة الى ديرك مقترحاً عليه تولي قيادتها بقية الطريق.

ظلت جنيفر تشعر بالانقباض طوال فترة ما بعد الظهر، على الرغم من المناظر الخلابة التي كانت تبهر الانظار. ضايقتها نظراته

الحالمة، وازعجها اقترابه منها وملامسته كتفها او ذراعها كلما اراد جذب انتباهها الى امر ما. تأكد لها انه يستغلها لتحويل اهتمامها عن شيلا وديرك. ولكنها لم تتمكن من مجاراته في اسلوبه الساحر وتصرفاته الذكية. تحبه حباً جارفاً، فكيف تقدر على السماح لعواطفها بالانجراف وراء احاديث تافهة كهذه؟ كيف يمكنها التجاوب مع ملاحظات غزلية عابرة؟

اوقف ديرك السيارة امام منزل شيلا، فشعرت جنيفر برغبة جامحة للقفز منها والاندفاع بسرعة نحو غرفتها. ولكنها حافظت على رصانتها وانتظرت بتأدب كي يفتح لها لوغان الباب. صافحته خارج السيارة، وشكرته بلباقة على الرحلة... الجميلة. ابتسم لها بمرح ظاهر، يوحي بانه يعرف حقيقة ما يجول في رأسها من افكار في تلك اللحظة بالذات.

تمتمت ببضع كلمات وداعية لديرك، وهرعت نحو باب المنزل... بعيداً عن نظرات لوغان الساخرة... والساحرة.

٩ - لمن خاتم الخطوبة؟

دخلت شيلا الى المطبخ بادية السرور والانشراح، وكأنها تسبح في الفضاء. قالت لاختها، التي كانت تعد القهوة:

- اسعدت صباحاً، يا جيني!

تنهدت جنيفر، وهي تلاحظ الفرق الشاسع بين ثياب اختها الأنيقة وثيابها العادية البسيطة، ثم اجابتها بهدوء:

- اسعدت صباحاً.

بدا وجه شيلا مشعاً كالضياء، ومختلفاً تماماً عما كان عليه في الاسبوع الماضي. قالت لجنيفر بصوت موسيقي حالم:

- لدي شعور قوي بان هذا اليوم سيكون رائعاً للغاية!

ثم صبت لنفسها فنجاناً من القهوة ومضت الى القول:

- اوه، كم انا مشتاقة للتزلج! تصوري انني لم اتزلج الا مرة واحدة في العام الفائت! انا متأكدة من انك ستستمتعين كثيراً برحلة التزلج هذه، يا جيني.

- ارجوك ان تتوقفي عن مناداتي بهذا الاسم. اسمي جنيفر!

استغربت شيلا الحدة التي لم تتوقعها في رد اختها، ولكنها اعتذرت منها قائلة:

- لم... لم اعلم ان هذه التسمية لا تزال تضايقك حتى الآن.

- لم تعد تضايقني فعلاً، ولكنني لم اكن مرتاحة نفسياً عندما استيقظت هذا الصباح.

- ليس هذا الصباح وحده، يا حبيبتي. ماذا دهاك في الفترة

الأخيرة؟ منذ مغادرة برادلي وانت في حالة عصبية مستمرة، وخاصة خلال الاسبوع الفائت. هل يمكنك اطلاعي على اسباب ذلك؟ سمعتك تتقلبين كثيراً في فراشك اثناء الليل، ويبدو الآن من عينيك المتعبتين ان النوم لم يعرف طريقه اليك. كنا نحدث بعضنا دائماً في السابق عن مشاكلنا، مع انني اعترف بتغيري في الآونة الأخيرة من حيث عدم تمضية اوقات كافية معك. اما اليوم، فلدي النهار بكامله. . . او على الأقل بمعظمه.

وضعت جنيفر يدها على يد اختها وشدت عليها بمحبة وحنان، ثم قالت لها:

- شيلا، انت اطيب اخت في العالم. ولكن لدي بعض المشاكل التي علي حلها او تخطيها بنفسي.

- هذا ما ارمي اليه. حدثيني عن هذه المشاكل، لنتمكن معاً من حلها بسهولة.

هزت جنيفر رأسها بحزن ظاهر، وقالت:

- لا، لا يمكنك مساعدتي في هذا المجال.

- هل يتعلق الأمر ببرادلي؟

- الى حد ما. وهنا لا بد لي من القول انني ادرس احتمال عودتي الى مينيابوليس.

- جيني. . . جنيفر! لن تعودي الى العمل معه، اليس كذلك؟

- لا، يا شيلا، لن اعمل معه.

- لماذا اذن تريدين الذهاب؟ اعرف انك متضايقة جداً في الفترة الاخيرة، ولكنك كنت سعيدة في البداية. الأولاد متعلقون بك الى درجة كبيرة، ومن المؤكد انهم سيشعرون بفراغ هائل. . . بالضياع. . . فيما لو ذهبت.

- لن ابقى طويلاً هناك. النقطة الأهم، هي انني اشعر بعدم

جدوى وجودي هنا في الوقت الحاضر.

حاولت شيلا الاعتراض على هذه الكلمات، ولكن جنيفر مضت الى القول:

- اعرف تماماً انني حملت عنك بعض الاعباء التي كانت ملقاة على كاهلك، ولكنني امضيت وقتاً طويلاً وانفقت الكثير من المال لاتخصص بشيء لا اقدر هنا على تطبيقه... ثم... لدي انطباع قوي بان شخصاً اخر سوف يتولى قريباً مهمة مساعدتك انت والأولاد بصورة دائمة.

احمر وجه شيلا بطريقة تظهر سعادتها وارتياحها، في حين شعرت جنيفر بحزن عميق. تمالكت نفسها وتظاهرت بالضحك، قائلة:

- هناك امر لآخر، هو انني لا احب منافسة احد لي على قلوب الأولاد.

استعادت شيلا بعض الجدية، وقالت باهتمام بالغ واخلاص حقيقي:

- اذا كان موضوع الوظيفة، هو الذي يقلقك، فانا واثقة من ان لوغان...

- لا! انا قادرة تماماً على ايجاد وظيفتي بنفسي. اعتقد ان عودتي ضرورة ملحة. كان فراري من هناك اصلاً خطوة سخيفة للغاية.

- هل حددت موعداً لمغادرتك جاكسون؟

طالبها عقلها بان تذهب في القريب العاجل... اليوم وليس غداً، ولكنها لم تكن بعد مستعدة لالزام نفسها بموعد محدد. تظاهرت بالابتسام، وقالت:

- لم اصل بعد الى مرحلة تحديد المواعيد.

لمعت عينا شيلا ببريق كشف سر سعادتها، وقالت بصوت ناعم:

- آمل، لأسباب شخصية، في ان تطيلي فترة البقاء هنا بعض

الوقت.

لم تتمكن جنيفر من التعليق على كلام اختها هذا بصراحة وصدق، فقررت التحدث عن موضوع آخر. قالت لاختها بهدوء:

- لدي بعض الأعمال في البلدة، فهل تريدين اي شيء من هناك؟

- لا، لا اعتقد ذلك. ولكن، تذكري اننا سنذهب الى التزلج بعد الظهر.

اجابتها بأنها ستتذكر ذلك، وخرجت مسرعة من المطبخ. لحقت بها شيلا، وقالت بلهجة جادة:

- انا اعني ما اقول، يا جنيفر. لن اقبل منك اي اعذار او حجج واهية كالتي استخدمتها في الاسبوع الفائت... كلما خطط لوغان لأي مشروع او رحلة او سهرة.

حاولت جنيفر جاهدة اخفاء تهكمها، ولكن لهجتها كشفت بعض ما يجول في خاطرها. قالت لاختها باسمة:

- يجب الا نعرقل ابداً خطط لوغان او مشاريعه، اليس كذلك؟

- بما انه خطط لهذه الرحلة خصيصاً لك، فمن اللياقة والواجب ان تحضري. اريد وعداً قاطعاً منك الآن بانك ستأتين.

وعدتها بذلك، ثم هرعت الى غرفة نومها لارتداء ثيابها. وبعد دقائق قليلة، خرجت من المنزل على عجل... فيما كانت شيلا تذكرها بالموعد المتفق عليه. ستكون هناك في تمام الواحدة، لأنها الزمت نفسها امام اختها.

- يا لها من ايام عصيبة لا تطاق! ارغمها لوغان معظم ايام الاسبوع الفائت على الانضمام الى الفريق الثلاثي. ظنت في بداية الأمر ان ديرك اصبح على وشك تحقيق بعض التقدم مع شيلا، فعضت على جرحها ولم تعترض على الذهاب معهم. ولكن نظرة واحدة الى وجه

شيلا وهي تتحدث مع لوغان، تكفي لفهم ما يدور بينهما وما يخططان له. وجاءت الضربة القاضية ليلة البارحة.

ساعدت اولاد اختها على النوم، ثم حاولت تناسي احزانها وآلامها بالاستسلام للرقاد. ولكن عذاب القلب والنفس حرم الجسم المتعب من لذة النوم والراحة. جلست وحيدة في قاعة الاستقبال المظلمة، تحاول طرد همومها التي تكاد تعمي ابصارها وتشل تفكيرها. ثم سمعت صوت محرك سيارة، فأغرتها نفسها بالذهاب الى النافذة لمشاهدة ما يجري. امتنعت في البداية عن القيام بذلك، مفضلة عذاب التخيل والتصور على الم رؤية الواقع والحقيقة. ولكن ضحكات شيلا انهضتها رغماً عنها، وحملتها الى النافذة.

لن تنسى ابداً العذاب المرير الذي شعرت به، عندما شاهدت شيلا تلقي بنفسها بين ذراعي لوغان. . . رأتهما يقتربان من الباب، وذراعه تطوق كتفيها بشغف. ركضت بسرعة الى غرفتها، وتظاهرت بانها غارقة في النوم عندما القت شيلا نظرة سريعة على الغرفة. وجاء الصباح والحديث الذي تبادلته معها، ليزيد اقتناعها بان شيلا سوف تتزوج لوغان.

تنهدت جنيفر بقوة. . . ثم عبرت الشارع. . . سمعت بوق سيارة يزعق في اذنها، واحست بيد رجل تمسك بذراعها وتجذبها بسرعة الى الوراء. . . فيما مرت السيارة على بعد سنتيمترات قليلة منها. انبها الرجل الذي انقذها، قائلاً:

ـ انتبهي مرة ثانية، يا ابنتي، عندما تعبرين الشارع. كدت الآن تفقدين حياتك!

ابتسمت له جنيفر، وقالت له متلعثمة:

ـ شكراً. . . شكراً جزيلاً. اعتقد. . . اعتقد انني كنت. . .

غارقة في. . . احلام اليقظة.

- احلام اليقظة بين السيارات؟ هذا لا يجوز، يا آنسة.

- لديك كل الحق. شكراً لك مرة اخرى.

رفع الكهل قبعته مودعاً، وسار في طريقه. تطلعت جنيفر حولها بعناية، ثم عبرت الشارع دون تردد وهي تقول لنفسها:

- الم يكن من الأفضل لي لو ان تلك السيارة اللعينة صدمتني! لا! لا كيف تسمح لمثل هذه الافكار الخبيثة والبغيضة بان تمر في رأسها؟ اليس الانتحار طريق الجبناء وحدهم؟

اسرعت الخطى نحو محل بيع الساعات والجواهر، لتأخذ ساعة يدها التي وعدها المسؤول هناك باصلاح عقاربها. لم تكن مهتمة كثيراً بالساعة، بقدر ما كانت راغبة في الهاء نفسها عن مشاكلها واحزانها. وتذكرت في تلك اللحظة رحلة التزلج التي وعدت اختها بالانضمام اليها، فازداد انقباضها وتأثرها.

مدت يدها لتفتح الباب الزجاجي، فشعرت بالدماء تتجمد في عروقها. شاهدت لوغان وهو يتأمل باعجاب ظاهر خاتماً رائعاً يلمع تحت الاضواء الساطعة، ثم يضع العلبة في جيبه. دخلت بسرعة الى محل مجاور، لتفادي الالتقاء به. احست بالم شديد ينخر عظامها ويعصر قلبها! لم تعد قادرة على التنفس بصورة طبيعية! خاتم خطوبة لشيلا!

تأملته بحزن وذهول، وهو يخرج من ذلك المحل كالطاووس ويسير في الشارع بقوة وثبات. دخلت المحل ذاته بعصبية وانفعال بالغين، ثم راحت تنظر بعينين زائغتين الى بعض المجوهرات والساعات. . . لتتمكن من استعادة انفاسها قبل اقترابها من الموظف المسؤول. وفجأة، سمعته يقول لشخص اكبر سناً قد يكون المالك نفسه.

ـ كنت متأكداً من ان لوغان لن يقبل اي شيء اقل من الماس. قال لي ان التقاليد في عائلة تايلور تقضي على كل رجل بان يهدي عروسه المحتملة خاتم خطوبة من . . .

شهقت جنيفر رغماً عنها، مما حمل الموظف الشاب على التوقف عن اتمام جملته. اقترب منها بجدية وتهذيب، قائلاً:

ـ هل يمكنني مساعدتك، يا آنسة؟

ـ لا، لا، شكراً.

وخرجت بسرعة، وكأنها غزال يطارده الصيادون.

اقتربت جنيفر من المصعد الكهربائي المخصص للمتزلجين، فلاحظت شخصاً يقترب منها بسرعة. لم تكن بحاجة لأكثر من نظرة واحدة، لتعرف انه لوغان. تطلع بها بعينين غاضبتين؛ وسألها بحدة:

ـ هل تعرفين ان الساعة الآن تجاوزت الواحدة والنصف؟

وضعت يدها فوق عينيها لترد عنهما ضوء الشمس، وقالت:

ـ ساعتي معطلة ويجري اصلاحها. لم ادرك انني تأخرت الى هذه الدرجة.

امسك بذراعها ودفعها امامه بقوة، قائلاً:

ـ هناك امور كثيرة لم تلاحظيها في الآونة الاخيرة. قلت لشيلا الا تدعك تغيبين اليوم عن نظرها، وأن تحضرك الى هنا بنفسها. . . اذا كان ذلك ضرورياً.

ـ وعدتها بالحضور، وهي تعرف انني لا اعود عن كلامي مهما كان الأمر.

ـ لم اكن استغرب ابداً عدم حضورك اليوم، فتصرفاتك طوال الاسبوع الفائت كانت توحي بذلك. كنت استعد لتوي للبحث عنك، ولجرك الى هنا بالقوة فيما لو اضطررت لذلك.

قررت جنيفر الرد عليه بعنف مماثل، علها تتمكن من مواجهة التحدي بتحد اقوى واشد. قالت له بلهجة قاسية:

- تشعر الآن بالغضب لأنني اتيت، وحرمتك بالتالي من لذة التصرف بقساوتك المعروفة.

- لا اعرف ماذا دهاك في الفترة الأخيرة، ولكني لا اريد افساد هذا النهار... فهو بالغ الأهمية بالنسبة الي.

ثم امسك بكتفيها وهزها قليلاً، قبل ان يمضي الى القول:

- تصورت في البداية انك مهتمة بسعادة شيلا، ولكن الأمور تبدلت اخيراً، اليس كذلك؟

ابعدت وجهها عنه بسرعة، لأنها لم تعد قادرة على تحمل نظراته. تهمها سعادة اختها من صميم قلبها، ولكنها تتمنى الا تجد شيلا تلك السعادة بين ذراعي الرجل الذي تحبه هي. اقنعت نفسها بانها محظوظة لاكتشافها مسبقاً اعتزام لوغان وشيلا الزواج في المستقبل القريب. ستجد الوقت الكافي للتأقلم مع الوضع القائم والتطورات الجديدة. ستواجه الأمور بشجاعة وقوة، ولكن المسألة لن تكون سهلة اطلاقاً. فمجرد رؤيتها لوغان، اعاد الحزن والألم الى قلبها المعذب. ارادت ابعاد افكارها عنه، فتظاهرت بالهدوء وسألته:

- اين هي شيلا الآن؟

نظر اليها باستهزاء، وقال:

- ارسلتها الى قمة الجبل، عندما قررت المباشرة في البحث عنك.

اذن، فالفريق الرباعي مكتمل الأعضاء... والمسكين ديرك ايضاً مضطر للانضمام كشاهد على انتصارات لوغان! يا للشقاء! وصلا الى القمة، وبدآ يتزلجان بصمت وهدوء تامين. سخر المتزلجون الآخرون منهما، بسبب سكوتهما والجدية المرتسمة على وجهيهما. وقفا امام المنحدر الأول، فقال لها بنبرة حادة بعض

الشيء:

- ابلغتني شيلا بانك قررت العودة الى مينيابوليس.

رفعت رأسها بتحد، وقالت:

- هذا صحيح.

وجه اليها نظرات قاسية جداً، وقال لها بلهجة مهينة؟

- وهل ستقبلين العرض الذي قدمه اليك ذاك الرجل؟

لم تجبه على سؤاله، فتنهد بعصبية بالغة وقال:

- هل من الممكن مطالبتك باطالة فترة بقائك هنا؟ لأجل شيلا، ان لم يكن لأي شيء آخر!

يا لغروره المزعج! يتصور انه قادر على تحقيق كافة اغراضه واهدافه بمجرد المطالبة، او السؤال.

- جيني...

لم تدعه يكمل كلامه، مع ان لهجته كانت حنونة جداً. قاطعته قائلة بعصبية، والدموع في عينيها:

- لا تنادني هكذا!

استدارت بسرعة نحو المنحدر، وانطلقت كالسهم... قبل ان يتمكن لوغان من ايقافها او الامساك بها. سمعت تحذيراً ضمنياً يصرخ في رأسها، يطالبها بالحد من سرعتها الجنونية! احست بمتزلج يقترب منها. لا شك في انه لوغان.

- خففي سرعتك فوراً!

شعرت للحظة بان عليها متابعة النزول بتلك السرعة الهائلة، ولو ادى ذلك الى كسر رجلها او يدها. اليست هذه النتيجة افضل من تحطيم قلبها على صخرة حبه؟ لا، لن تتهور الى هذه الدرجة. توقفت بصورة مفاجئة، فكاد لوغان ان يصطدم بها. صرخ باعلى صوته، وبلهجة تضج غضباً:

- ماذا كنت تحاولين القيام به؟ الانتحار؟

ارتجف جسمها وغاب اللون من وجهها. فتحت فمها لاستعادة انفاسها، فدخل الهواء البارد الى رئتيها كالخنجر. لم تجرؤ على النظر اليه، فمضى الى القول بالعصبية ذاتها:

- لن تجيبيني، كعادتك. فاما ان تفلتي لسانك السليط اللعين من سجنه لتوجيه الشتائم والكلمات القاسية اللاذعة، واما ان تقفي صامتة كالآن، او تحاولي تجنبي قدر الامكان. متى ستتوقفين عن محاربتي و. . .

- اوه، انظر، ها هما شيلا وديرك!

لوحت لهما بيدها وهي تشعر بالسرور والارتياح، لأن وجودهما سيخفف كثيراً من الآلام التي تحس بها نتيجة انفرادها مع لوغان. ردت اختها التحية بفرح ظاهر، فيما اكتفى لوغان بهز رأسه بحذر وهدوء، وبتنبيه جنيفر من مغبة السرعة. وما ان اقتربا منهما قليلاً، حتى انطلق الآخران نحو المنحدر الثاني واخذت شيلا تقوم بحركات بهلوانية امام ديرك وحوله.

وفجأة. . . تبدل المنظر المرح، وتحول الى شبه كارثة. سمعت جنيفر صرخة قوية من اختها، وشاهدت ديرك يتوقف بسرعة وينحني فوق شيلا. تركها لوغان وتوجه نحوهما، قبل تمكنها من فتح فمها ومناداة اختها بصوت حزين مرتجف.

انطلقت فوراً الى مكان الحادث، الذي سبقها اليه ايضاً احد افراد الدورية المسؤولة عن سلامة المتزلجين. وقفت جنيفر صامتة قرب اختها، فيما كان الرجل ولوغان يفحصان جسمها للتأكد من سلامتها. . . وديرك يمسح الثلج عن وجهها. فتحت شيلا عينيها لحظة وهي تئن بصوت خافت. قال لوغان للرجل:

- يبدو انها لم تصب الا في قدمها.

- سأذهب فوراً لاحضار زحافة واستدعاء سيارة اسعاف

شعرت جنيفر بأنها شخص غريب، يراقب عن بعد كابوس انسان آخر. تركزت نظراتها القلقة على الملامح المتوترة في وجه لوغان، وهو يتحدث مع ديرك. لم تسمع كلامه، لأن الصدمة التي تعرضت لها بسبب حادث اختها كانت قوية وعنيفة. وصل الرجال المسؤولون عن نقل شيلا الى سيارة الاسعاف خلال دقائق قليلة من وقوع الحادث، ولكن جنيفر تخيلت تلك الفترة القصيرة وكأنها زمن طويل. ادركت ان لوغان موجود قربها، ولكن اهتمامها كان منصباً بكامله على اختها وما تشعر به من آلام.

وصل الجميع الى المستشفى، وادخلت شيلا الى احدى الغرف المخصصة لمثل هذه الحوادث. احضر لوغان فنجاناً من القهوة الى جنيفر وطلب منها ان تشربه، ثم توجه الى مكتب المستشفى لملء الأوراق المتعددة التي تتطلبها مثل هذه الأحوال. عاد بعد حوال ثلث ساعة، فلم تشعر بعودته. اخذ منها الفنجان الذي لم تشرب منه سوى جرعة واحدة، وقال بصوت ناعم:

- لم تشربي قهوتك. هل انت بخير؟

نظرت اليه بعينين زائغتين، وسألته بحزن بالغ:

- هل ابلغوك شيئاً عن شيلا؟

- صوروا لها القدم بالأشعة، وسوف ينزلونها بعد قليل. يعتقد الطبيب بوجود كسر في القدم، ولكنه يريد الاطلاع على صور الاشعة، قبل اصدار حكم نهائي.

دخل طبيب وممرضة في تلك اللحظة قاعة الانتظار، وسمعت جنيفر كلمتي اخت وخطيب قبل ان يقترب الرجل من لوغان ويصافحه قائلاً:

- انا مسرور برؤيتك، يا لوغان. كنت افضل ان يتم هذا اللقاء

في ظروف افضل.
ثم نظر الى جنيفر وديرك، وقال لهما على التوالي:
ـ الآنسة غلين! السيد هاملتون! انا الطبيب مارتش.
لم تفهم جنيفر من حديث الطبيب عن وضع اختها الا القليل، ولكنها ادركت ان الوضع ليس سيئاً الى درجة كبيرة، وسمعته ينهي شرحه قائلاً بهدوء:
ـ اعطيتها بعض الحبوب المخففة للآلام. بامكانكم، اذا اردتم، مقابلتها لبضع دقائق.
امسكت جنيفر بيد لوغان بقوة، فيما كان يساعدها على النهوض. وذهبت معه الى غرفة شيلا. حدقت حزينة بوجهها الذي فقد لونه ورونقه، ثم ابتسمت عندما فتحت اختها عينيها الجميلتين وقالت ممازحة بصوت ضعيف:
ـ هذه هي نتيجة التهور، اليس كذلك؟
لم تتمكن جنيفر الا ان تهز رأسها، ولكن لوغان ابتسم بدوره وقال:
ـ طبعاً طبعاً. لن نطيل البقاء هنا، لأن الطبيب لم يسمح لنا الا بدقائق قليلة... وديرك ينتظر خروجنا ليدخل ويراك.
رفعت رأسها بصعوبة عن الوسادة، وقالت:
ـ والأولاد؟
ـ لا تقلقي، فسوف نهتم بهم. سنعود لرؤيتك في وقت لاحق عندما تستفيقين جيداً.
شعرت جنيفر بيد لوغان تمسك بها، لاخراجها معه من الغرفة. تمتمت بكلمات وجيزة مرتعشة، مودعة اختها ومتمنية لها الشفاء العاجل. اوصلها لوغان الى قاعة الانتظار وساعدها على الجلوس، ثم طلب منها ان تنتظره فترة قصيرة.

شيلا بحاجة اليها الآن اكثر من اي وقت مضى، وخاصة في مجال رعاية الأولاد والاهتمام بهم. انهم متعلقون كثيراً بأمهم، فهي الأم والأب في آن واحد. ستحاول جاهدة التخفيف من وقع الحادث على نفوسهم. آه، لو كان بامكانها التصرف بحكمة وهدوء كما يفعل لوغان!

ابتسمت له وهو يقترب منها، ويسألها:

ـ هل انت مستعدة للذهاب؟

خرجا من المستشفى، فنزع قبعتها الصوفية عن رأسها دون ان يستأذنها او يقول لها شيئاً. هزت رأسها بطريقة عفوية للتمتع بالهواء المنعش البارد، وقالت له:

ـ لماذا فعلت ذلك؟

ـ حتى تتمكني من طرد الخوف والتوتر اللذين حلا بك.

اعجبتها كثيراً ملاحظته الذكية... وابتسامته الدافئة الحنونة. شيلا! يجب ان تتذكر شيلا، والا تدع مشاعرها الخاصة تتدخل في مسؤوليتها خلال فترة عصيبة كهذه! ظلت جنيفر صامتة طوال الرحلة الى منزل شيلا. وعندما اوقف لوغان سيارته امام البيت وهمت بتوجيه الشكر له، قال لها:

ـ هل تريدين ان اكون معك عندما تخبرين الأولاد عن حادث امهم؟

ادخل استعداده هذا الكثير من الارتياح الى قلبها، فابتسمت وقالت:

ـ شكراً جزيلاً، فمواجهتهم وحدي ستكون صعبة للغاية.

هجم الصغار الثلاثة عليهما بمجرد دخولهما المنزل، وقالت لهما سيندي بلهجة غاضبة:

ـ اين كنتما، ولماذا هذا التأخير؟

اما اريك فلم يتردد عن الافصاح عن مخاوفه، اذ سألهما بحدة:
- اين امي، ولماذا لم تأت معكما؟

شرحت لهم جنيفر بصبر وروية مذهلين تفاصيل الحادث الذي تعرضت له والدتهم. وقف الثلاثة مذهولين مشدوهين، ثم انفجر الصغير باكياً بصوت مرتفع. حمله لوغان واجلسه على كتفيه بعض الوقت، ثم انزله ووضعه على ركبتيه قائلاً بمرح مطمئن:
- لو لم تكن امكم بخير والحمد لله، فهل كان بامكاننا ان نكون هنا ونتحدث معكم بمثل هذا الارتياح؟

اقترب منه اريك وسيندي واستوضحاه عن حقيقة ما جرى، فحول لهما القصة من حادثة... الى مغامرة شيقة... انتهت بحادث بسيط هامشي. شكرت جنيفر الظروف التي ساعدتها، والتي يعود الفضل الأكبر فيها الى... لوغان. وفيما هي غارقة في افكارها وتأملاتها، سمعت الأولاد يصرون عليه لمشاركتهم طعام العشاء. ابتسمت بسرور فائق، عندما لاحظت موافقته شبه الفورية على دعوتهم. سيبقى بسببها؟ لا، لا يمكن ذلك! وافق على البقاء لأجل الأولاد الذين يحبهم! اعتذرت من الجميع، وتوجهت الى المطبخ لاعداد الطعام.

اعدت عشاء رائعاً يشبع العين والأنف قبل المعدة، ثم دعت لوغان والأولاد الى المائدة. تناول الجميع طعام العشاء بشهية واضحة، وهم يضحكون ويثرثرون طوال الوقت. تضايقت جنيفر في بادىء الأمر وعاتبت نفسها على التصرف بهذه الطريقة، مع ان اختها لا تزال في المستشفى. ولكنها اقنعت عاطفتها الأخوية بالتنحي جانباً، كي تتمتع بوجودها على هذا النحو مع لوغان.

تولى اريك وسيندي مساعدة خالتهما لنقل الصحون والسكاكين وغيرها من ادوات المائدة الى المطبخ، وعادا بسرعة الى قاعة الطعام

ليشاركا بلعبة مخصصة لسلوى الصغار والكبار على حد سواء. وفي هذه الأثناء وضع لوغان لعبة ريتشارد المفضلة امامه وجهز الطاولة استعداداً للعبة الآخرين. شكلت سيندي وجنيفر فريق السيدات، بينما شكل اريك ولوغان فريق الرجال. تنافس الفريقان مرتين، ففاز كل منهما مرة... وتعادلا. نظرت جنيفر الى ساعة الحائط وطلبت من الأولاد الثلاثة الاستعداد للذهاب الى النوم. تململ الأولاد، فتولت هي الاهتمام بامر ريتشارد، في حين وعد لوغان الولدين الآخرين بقصة جميلة.

نام الصغير خلال دقائق، فذهبت جنيفر الى المطبخ وبدأت تغسل الصحون والأطباق... وتفكر. احست بانقباض رهيب وبارتكاب خطيئة كبيرة، عندما تصورت نفسها تحاول سلب اختها الرجل الذي تحبه وتريد الزواج منه. آه، لو كان بامكانها الحلول محل اختها في سرير المستشفى! وترقرقت عيناها بالدموع...

ـ كان يوماً طويلاً ومرهقاً جداً بالنسبة اليك، يا جيني غلين، اليس كذلك؟

جاء صوته مشبعاً بالعاطفة والحنان، فانهمرت من عينيها دمعتان جديدتان. لو لم يتحدث اليها بتلك اللهجة الغزلية الناعمة، لتمكنت من صده ومقاومته عندما ضمها الى صدره وطوقها بذراعيه القويتين. ارادت ان تبكي نهراً من الدموع، لأن الألم عميق للغاية. شعرت بوجود علبة خاتم الخطوبة في جيبه، فكادت تحترق غيرة وعذاباً. ابتعدت عنه بهدوء كيلا يلاحظ ارتعاشها، وقالت له:

ـ تريد زيارة شيلا مرة اخرى هذه الليلة!

تأملها ملياً وهي تقول له هذه الكلمات القليلة، ثم علق على جملتها بالقول:

ـ تجاوزنا اوقات الزيارات المسائية، ولكني متأكد من قدرتي على

رؤ يتها ولو لدقائق قليلة.

- ربما كان من الأفضل الا ادع الأولاد يصرون على ابقائك هنا.

- لم يكن الأولاد مضطرين للاصرار.

اقترب منها ثم توقف على بعد خطوة واحدة، عندما لاحظ ابتعادها عنه بصورة عفوية، ومضى الى القول:

- انت بحاجة لساعات عديدة من الراحة والنوم.

تضايقت جنيفر كثيراً من تلك الملاحظة، وقالت له بحدة:

- شكراً لك على اطلاعي بانني ابدو رائعة واضج حياة ونشاطا.

- سأمر عليك حوالى التاسعة والنصف من صباح الغد، كي نكون هناك اثناء الجولة التفقدية التي يقوم بها الطبيب على مرضاه.

هزت جنيفر رأسها موافقة، فقال لها بشيء من الانفعال:

- اتصلي بي، اذا احتجت الى مساعدتي. سأبقى الليلة في منزل والدتي. رقم هاتفها موجود هناك قرب الهاتف.

اكدت له بتهذيب انها لن تضطر للاتصال به، فالأولاد يغطون في نوم عميق وكل شيء على ما يرام. تمنى لها ليلة سعيدة وغادر المنزل، بدون اضافة كلمة اخرى الى الجملة المعتادة. قالت لنفسها ان التردد كان واضحاً في طريقة مغادرته البيت، ولكنها استهجنت تلك الفكرة وطردتها من رأسها على الفور. لا شك في انه يستعجل الذهاب... ليقابل شيلا ويمضي معها اطول فترة ممكنة.

ذهبت الى سريرها وتصورت ان النوم لن يعرف طريقه الى عينيها، ولكنها اكتشفت ان القلق والتوتر اتعبا جسمها وارهقاه اكثر مما تصورت. وضعت رأسها على الوسادة... ونامت.

١٠ - مياه الحب الذهبية

كانت السيدة تايلور، والدة لوغان، موجودة في غرفة الانتظار عندما خرج لوغان وجنيفر من غرفة شيلا صباح اليوم التالي. ارتاحت جنيفر كثيراً اثناء الزيارة، لأنها شاهدت اختها في حالة نفسية وصحية جيدة.

اين خاتم الخطوبة؟ لا شك في ان لوغان قرر انتظار خروجها من المستشفى كي يهديها الخاتم في احتفال خاص بذلك. لم تدخل معها شيلا في احاديث معينة، بل اكتفت بتوجيه بعض الاسئلة عن الأولاد. سرّت جنيفر بهذا الأمر، لأنها بدأت تكره نار الغيرة التي تحرق قلبها كلما رأت لوغان وشيلا معاً. اخفت بسرعة دهشتها لوجود السيدة تايلور في المستشفى، وحيتها بتهذيبها المعتاد. الا يحق لهذه السيدة زيارة الشابة التي ستتزوج ابنها؟ طبعاً، ولكن. . .

ـ اجلسي هنا قرب امي، يا جيني، فثمة موضوع اريد بحثه معك الآن. ناقشت المسألة امس مع والدتي، وحظيت بموافقتها. احضرتها معي اليوم لتدعمني نفسياً ومعنوياً.

عبست جنيفر الى حد ما، وسألته بشيء من الاستغراب:

ـ وما هو هذا الموضوع؟

ونظر الى امه ملياً، ثم تنهد بقوة وقال:

ـ ابلغني الطبيب مارتش انه سيسمح لشيلا بمغادرة المستشفى غداً. سوف تشعر بآلام حادة في الأيام الأولى، وستصبح حادة المزاج مع الأولاد. . . رغماً عنها. اقترحت عليها ارسال الأولاد الى بيت

جدهم لتمضية بضعة ايام هناك.

ادهشها الاسلوب الرقيق الهادىء، الذي اتبعه في وصف اقتراحه لأختها. ابتسمت بنعومة، وقالت:

ـ فكرة لا بأس بها ابداً.

ـ ليس هذا كل ما في الأمر. فأنا مضطر للذهاب الى المزرعة، للقيام ببعض المهام التي تستدعي وجودي شخصياً.

ثم نظر الى امه مرة اخرى، ومضى الى القول:

ـ لن تتمكن شيلا من العودة الى عملها في الفندق قبل سبعة ايام على اقل تقدير. وبما ان وجودها هنا في البلدة سيغريها كثيراً بالذهاب الى العمل، بغض النظر عن العواقب الوخيمة لذلك، فقد قررت دعوتها لتمضية اسبوع النقاهة هذا في المزرعة.

اوه! هكذا اذن! بذلت جهوداً جبارة لاخفاء امتعاضها وانفعالها، وتظاهرت بأن الأمر طبيعي للغاية. ابتسمت وقالت:

ـ لا ارى اي سبب يحملها على الرفض. سوف اتولى عنها مهامها في الفندق.

توترت ملامح وجهه قليلاً لدى سماعه الشق الثاني من جملتها، وقال:

ـ لا! ستقوم والدتي بهذه المهمة. لديها خبرة طويلة في هذا المجال، وسيسرها كثيراً ان تستعيد بعض الذكريات الحلوة في ادارة الفنادق. سوف تأتين مع شيلا الى المزرعة.

حدقت به، وهي لا تصدق اذنيها. لا، لا يمكنه ان يعني ذلك! تطلعت بذهول نحو والدته، علها تسمع اعتراضاً او ترى اي رد فعل سلبي يساعدها على الاعتراض. ولكن السيدة تايلور ابتسمت لها برقة وحنان، وقالت ممازحة:

ـ هذا هو الحل الوحيد، يا عزيزتي، اذ ليس من المعقول ان تمضي

اختك هذه الفترة بمفردها مع لوغان. وجودكما معاً في المزرعة يحرم اصحاب النوايا السيئة من مثل هذه الفرصة الذهبية.

قفزت جنيفر من مقعدها بعصبية بالغة، وقالت بحدة ظاهرة:

ـ مستحيل، مستحيل! يمكنها البقاء في البيت، وانا سأهتم بها وامنعها من الذهاب الى الفندق.

تدخل لوغان، قائلاً بانفعال:

ـ لن تنجحي في ذلك. انت تعرفين مدى عنادها. سوف تقنعك خلال يومين فقط بمساعدتها على الذهاب الى الفندق... بحجة تمرين قدمها. لا، يا جيني، فالمزرعة هي السبيل الوحيد.

نظرت اليه بتحد، وقالت:

ـ لن اذهب!

امسك بمعصمها بعنف وحشي، وجذبها نحوه قائلاً بغضب عارم:

ـ بلى ستذهبين! انت اختها وفرد من افراد عائلتها، وهي الآن بحاجة اليك. اذهبي الى البيت وجهزي ما سوف تحتاجان اليه، وسأمر عليك في تمام الحادية عشرة من صباح غد. كوني بانتظاري، يا جيني، والا...

لم ينه جملته، ولكن التحذير القاسي كان واضحاً جلياً في عينيه ووجهه ونبرة صوته. افلت يدها من قبضته القوية بانفعال لم تشهد له مثيلاً، ثم خرج من الغرفة دون الالتفات حتى الى امه. استدارت جنيفر نحو السيدة تايلور، وهي محمرة الوجنتين وتتنفس بصعوبة.

ابتسمت لها السيدة المهذبة، وقالت لها بصوت رقيق ناعم:

ـ اعتذر لك نيابة عن ابني. انا متأكدة من انه لم يقصد التصرف بمثل هذه الخشونة، ورث حدة الطباع عن والده، رحمه الله. هكذا كان زوجي... يجن غضباً وحنقاً عندما تتعثر خططه او مشاريعه.

- لا افهم سبب هذه الأهمية التي...

توقفت عن اتمام جملتها، كيلا تنفجر احزان قلبها دموعاً غزيرة، وتوتر اعصاب لا يمكن السيطرة عليه. ترددت السيدة تايلور قليلاً، ثم قالت:

- مزرعتنا جميلة وهادئة جداً، وهي افضل مكان تمضي فيه شيلا فترة من الراحة والنقاهة. ثم... لدي انطباع قوي بان بيتنا هناك سيعجبك كثيراً.

قالت جنيفر لنفسها ان اي مكان يوجد فيه لوغان سيكون جميلاً. ثم ابتسمت، وقالت:

- انا متأكدة من ذلك.

- ارجوك الا تمانعي في الذهاب مع اختك. لن تتمكن شيلا ابداً من فهم اسباب ترددك او رفضك... مهما كانت تلك الاسباب.

نظرت جنيفر بكثير من الاستغراب الى ماندي تايلور. هل قرأت افكارها وادركت حقيقة مشاعرها تجاه ابنها؟ لم تجد في عيني السيدة الجالسة قربها الا البسمة والبراءة، فقالت لها:

- ابلغي لوغان انني سأكون جاهزة في تمام الحادية عشرة.

ثم وقفت، واضافت قائلة:

- اعذريني الآن، فلدي اعمال كثيرة يجب القيام بها قبل يوم غد.

لاحظت جنيفر المرارة والسخرية اللتين ظهرتا في نبرة صوتها وهي تتحدث مع سيدة لا ذنب لها الا كونها والدة لوغان. خرجت من المستشفى على عجل، ومصاب الهزيمة الاخرى التي منيت بها امام لوغان تايلور يحز في نفسها ويعصر قلبها. عليها الآن استعادة سيطرتها على اعصابها، لتتمكن من مواجهة الاسبوع المقبل بعزة نفس وكبرياء... وتدفع عن كرامتها طعنة الذل المميتة اذا اكتشف لوغان حبها له.

اضافت جنيفر قطعة اخرى من الاخشاب التي تلتهمها نار التدفئة في منزل لوغان، وقالت لنفسها ان السيدة تايلور كانت على حق. اعجبتها المزرعة منذ وصولها اليها. احبت اشجار الصنوبر التي تحمي مبانيها من رياح الشتاء العاتية والباردة، واحبت الاسطبلات والحظائر النظيفة التي بنيت بطريقة هندسية ذكية. ولكن المنزل ذاته هو الذي سلب عقلها وتفكيرها، لأنها ارادته بيتاً لها... ولحبيبها!

قال لوغان بعد وصولهم الى البيت ان الطبقة العليا، وقاعة الطعام، والغرفة الصغيرة المجاورة مغلقة كلياً... وذلك لحصر الحرارة والدفء في الأمكنة التي سيستخدمونها اثناء وجودهم في المزرعة. لم تشعر جنيفر بأي انزعاج نتيجة لهذا الأمر، لأنها قانعة بالجلوس طوال النهار في قاعة الاستقبال الجميلة والمريحة... تتمتع بالدفء والاستماع الى انغام الموسيقى الحالمة.

تناول لوغان وجنيفر طعامهما في اليومين الأولين... في المطبخ، في حين كانت شيلا تأكل في غرفة النوم الرئيسية التي احضر اليها لوغان سريراً اضافياً. استخدمت الشقيقتان تلك الغرفة الكبيرة، فيما كان لوغان ينام في غرفة صغيرة محاذية للمطبخ... مخصصة اصلاً لمدبرة المنزل.

تبين لجنيفر ان الأمور ليست سيئة ابداً الى الدرجة التي توقعتها. كان لوغان يغادر البيت عند الفجر، ولا يعود قبل حلول الظلام. وعندما تناولت العشاء معه مرتين على انفراد، احست بانقباض شديد بسبب تجاهله لها... كامرأة. تمنت من صميم قلبها انتهاء اليومين الأولين بسرعة، كي تتمكن اختها من الجلوس معهما في المطبخ... وفي قاعة الاستقبال.

ذهب لوغان بعد العشاء للتحدث مع شيلا، فألهت جنيفر نفسها بغسل الصحون ومن ثم بمشاهدة بعض البرامج التلفزيونية. كيف

يمكنها مواجهة مشكلتها الناجمة عن وجودها معه في بيت واحد. . . ولكن في عالمين مختلفين؟ افضل وسيلة لها هي القيام بكافة الأعمال المنزلية التي تنفذها عادة الزوجات. اخذت تهتم بترتيب بيته واعداد طعامه، بما في ذلك فطور الصباح، بالاضافة الى امور عديدة اخرى. لم تقض الغيرة مضجعها الا في اوقات معينة، خاصة عندما يمضي لوغان فترة من الزمن مع شيلا. ومع ذلك، فقد ارغمت نفسها على التصرف معه بصورة طبيعية جداً. . . ومع شيلا بمرح وسرور. انها فعلاً تستحق جائزة كبيرة بسبب قدرتها على اخفاء كدرها وعذابها على هذا النحو المثير للاعجاب.

توجهت الى المطبخ في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم التالي لاعداد كعكة من الحلوى. سمعت شيلا تتحدث مع ديرك للمرة الرابعة منذ وصولها الى المزرعة. ولاحظت باستغراب بالغ عدم اعتراض اختها على مكالمات ديرك المتكررة. تنهدت بعمق وهمت بالبدء باعداد الكعكة، ولكنها توقفت عن ذلك عندما سمعت صوت اقدام في الخارج تبعتها طرقة على الباب الخلفي. فتحت الباب بسرعة وشاهدت لوغان يحمل كتلة كبيرة سوداء ويقول لها:

ـ احضري بعض المناشف من الغرفة المجاورة.

اندفعت باهتمام كبير لتنفيذ ما طلبه منها، وخاصة بعدما لاحظت ان تلك الكتلة التي يحملها بين ذراعيه ليست الا عجلاً صغيراً ولد لتوه. عادت بعد ثوان قليلة، فوجدت ان لوغان اخذ العجل الى غرفة الاستقبال ووضعه امام الموقد لتدفئته. اخذ منها احدى المناشف الكبيرة وبدأ يجفف الحيوان الصغير. ركعت قربه على الأرض وسألته:

ـ ماذا حدث؟

ـ ولد قبل موعده بفترة طويلة وتخلت عنه امه، ظناً منها انه

سيموت بالتأكيد. سخني له كمية من الحليب لنسقيه اياها. ستجدين في الخزانة السفلى بعض القناني المخصصة للرضاعة. ضعي الحليب الساخن في احداها، واحضريها حالاً.

نفذت تعليماته بدون تردد، ثم تذكرت امراً هاماً تعلمته اثناء وجودها في مزرعة والديها، صبت الكمية الفائضة من الحليب الساخن على منشفة صغيرة، واحضرتها مع القنينة. تطلع اليها لوغان باعجاب وتقدير، ثم اشار اليها للبدء باطعام العجل... فيما واصل هو تدليكه في محاولة شبه يائسة لانقاذه. فتحت جنيفر فم الحيوان الصغير، وبدأت تعصر المنشفة المشبعة بالحليب لتسقيه السائل المغذي نقطة تلو الاخرى... قبل ان تضع المرضعة في فمه. ونتيجة للتدليك المتواصل وشرب الحليب الساخن في غرفة دافئة، عادت الحياة تدب في اوصال تلك الكتلة السوداء واخذ العجل يتحرك... ولو بكثير من الصعوبة.

تطلعت جنيفر نحو لوغان، فرأته يبتسم لها بارتياح وسرور... بسبب الانتصار الذي شاركا في تحقيقه. توقف قلبها عن الخفقان لحظة، ثم تسارعت ضرباته وكأنه مطرقة آلية. هز رأسه وقال:

ـ لم اكن اتوقع له النجاة. انه حقاً محظوظ جداً منذ البداية. فلولا الحظ، لكانت الذئاب اكتشفت مكان وجوده وافترسته.

نظرت جنيفر الى العجل الصغير، الذي يضع رأسه مرتاحاً على ركبتيها وقالت بصوت حنون ناعم:

ـ انا سعيدة بنجاته. هل تعتقد انه سيتمكن الآن من الصمود؟

ـ لديه فرصة طيبة. سندعه ينام هنا قرب النار ثم نطعمه مرة اخرى في وقت لاحق.

ثم ابتسم برقة، واضاف قائلاً:

ـ ما رأيك الآن ببعض القهوة؟

وقفت بسرعة لتجنب الوقوع ثانية اسيرة ابتسامته الساحرة، وقالت:

- عظيم. ستكون القهوة جاهزة خلال دقيقتين.

عادت الى الغرفة ومعها فنجانان من القهوة اللذيذة، ولكنها لم تجد لوغان. وضعت فنجانه على الطاولة ثم جلست قرب النار. وراحت تداعب رأس العجل الصغير. رجع لوغان بعد ان غسل يديه واستبدل ثيابه، فأحست جنيفر. . . لأول مرة منذ دخولها بيته. . . برغبة عارمة للهرب منه، ومن جاذبيته القاسية. قطع لوغان الصمت الرهيب، الذي بدأ يزعجها ويؤلمها، قائلاً:

- اقترحت شيلا بأن فترة ما بعد ظهر غد ستكون فرصة مناسبة لك للقيام بجولة في المزرعة.

- لا، شكراً! لن اتمكن من ذلك.

- اؤكد لك انك ستعجبين بالحصان الذي اخترته خصيصاً لهذه النزهة. واكثر من ذلك، انني سأكون معك للقيام بدور الدليل السياحي والحارس الأمين.

تخيلت الابتسامة العريضة التي يفتر عنها ثغره، ولكنها لم تنظر اليه. ارادت التهرب من وجودها معه على انفراد، فقالت متلعثمة:

- اوه، ليس هذا الحصان او ذاك هو لب المشكلة! ولكن. . . ولكنني لا احب ان اترك شيلا وحدها وهي في وضعها الحالي.

- لن تكون وحدها. . . ديرك آت الى هنا غداً.

نظرت اليه باستغراب بالغ، على الرغم من اللهجة الهادئة التي تحدث بها، تأملت ملامح وجهه بدقة وروية، في محاولة لتحليل كلماته والأهداف الكامنة وراءها. هل يمكن لرجل متسلط مثله ان يسمح لزوجة المستقبل بالانفراد مع رجل آخر. . . ومع ديرك هاملتون بوجه خاص؟ اضاف قائلاً، وكأنه قرأ افكارها:

ـ ثمة مواضيع يريدان بحثها معاً، والأفضل ان يفعلا ذلك بعيداً عن اسماع الآخرين.

لا شك في ان شيلا تريد اطلاع ديرك على عزمها الزواج من لوغان. ربما كان هذا احد الاسباب التي حملت اختها على عدم تزيين اصبعها بخاتم الخطوبة قبل ابلاغ ديرك بما سيحدث... حتى لو لم يكن ذلك الا من قبيل اللياقة والمجاملة. قالت له بتردد:

ـ في هذه الحالة، سأكون سعيدة بمرافقتك غداً ان شاء الله.

ـ عظيم. اعذريني الآن، فأنا مضطر للعودة الى عملي.

تصرف لوغان معها بعد ظهر اليوم التالي كسيد مهذب يحترم ضيوفه ويرعى امورهم. تحدث معها طوال الوقت بود وحنان، شارحاً لها باسهاب الأعمال التي تتم في المزرعة... ومفسراً بايضاح واناة كافة الأشياء التي كانت تسأله عنها. الا يشعر بالغيرة، او حتى بالانقباض، لوجود ديرك مع خطيبته؟

أنهيا جولتهما وعادا باتجاه البيت. ولما اصبحا على بعد مئة متر تقريباً، شاهدا ديرك يدخل الى سيارته وينطلق بها بسرعة. راقبت جنيفر وجه لوغان بطريقة خفية، فذهلت لعدم وجود اي رد فعل يذكر في ملامحه او نظراته. ادركت في تلك الآونة، وبالدليل القاطع، مدى القساوة المرعبة التي يمكن للوغان ممارستها... عندما يريد تحقيق امر ما.

ترجلا عن حصانيهما قرب الاسطبل الكبير، واوكل لوغان مهمة الاعتناء بهما الى احد ابناء المشرف على العمال. ولما دخلا البيت، كان وجه شيلا يشع سعادة وفرحاً. نظرت الى لوغان بعينين براقتين، فسألها بصوت حنون هادىء:

ـ ماذا حدث؟

لم تكن جنيفر راغبة ابداً في الاستماع الى جواب شقيقتها،

فقالت:

- عن اذنكما. سأذهب لاعداد القهوة.

شعرت وهي تغادر الغرفة ان شيلا لم تلاحظ دخولها او خروجها، وسمعتها تقول:

- لم اكن اتصور الأمر بمثل هذه السهولة. لم ترف له عين عندما شرحت له الموضوع من كافة جوانبه. قال انه يتفهم الأمر، واذا كان ذلك يسعدني...

اغلقت جنيفر باب المطبخ في تلك اللحظة بالذات، اشفاقاً على مشاعرها. تعذبت... تألمت... وكادت تبكي. مسكين ديزك... هذا الانسان الطيب الذي يمكن الاعتماد عليه! انه فعلاً يستحق بعض شفقتها على عواطفها، فهو مثلها... ضحية الحب الضائع والأمل المفقود.

حبست نفسها في المطبخ مدة طويلة، بحجة اعداد العشاء، وعندما اصبح الطعام جاهزاً كان صداعها الناجم عن كبت مشاعرها واحاسيسها قد بلغ اشده. انهمرت دموع المرارة من عينيها الحزينتين، لعلمها بأنهما يفضلان عدم وجودها معهما...

اغمضت عينيها قليلاً في ظلمة غرفتها، فيما كانت الاصوات الخافتة التي تصلها من قاعة الاستقبال تنهمر على رأسها كالحجارة وتطعن قلبها وجسمها كالخناجر الحادة. نامت بعد فترة من الزمن، ولاحظت عندما استيقظت ان الساعة بلغت الحادية عشرة الا ربعاً. لم تسمع اي اصوات في البيت، سوى صوت الصمت الرهيب وتنفس شيلا. ظلت مستلقية في فراشها بدون حراك، تحاول اقناع نفسها بالاستسلام الى النوم. لم تشعر بصداعها، ولكن الفراغ كان يقض مضجعها ويحرمها من لذة الراحة والطمأنينة.

قامت من سريرها بهدوء وذهبت الى المطبخ لاعداد فنجان من

الشاي وتناول قطعة من الحلوى. تمنت لو كان بامكانها الهرب تحت جنح الليل، وعدم الاضطرار لمواجهة لوغان وشيلا في الصباح. ولكنها قررت البقاء، وهي لا تدري ما اذا كان ذلك جبناً ام شجاعة. احست وكأنها فقدت قدرتها على التحكم بشعورها وارادتها... وكأن عقلها لم يعد يستوعب اموراً بسيطة كهذه. تقزمت حادثتها المخجلة مع برادلي امام هذه القوة المدمرة لحبها الحالي من جانب واحد.

صفر ابريق الماء، فقفزت من مكانها مذعورة متضايقة. بدأت تصب الماء المغلي فوق كيس الشاي الصغير القابع في قعر فنجانها، و...

ـ تصورت انك نائمة.

استدارت بسرعة نحو باب المطبخ بفزع وذهول، ثم تمالكت اعصابها وقالت:

ـ اردت... اردت ان اشرب فنجاناً من الشاي... و...

ـ انتبهي! انتبهي!

ولكن الفنجان وقع من يدها المرتجفة، وافرغت محتوياته الحارة على اصابعها. قفز لوغان الى جانبها، ثم امسك بيدها وقال:

ـ هل انت بخير؟ دعيني ارى يدك.

حاولت سحبها من بين يديه، ولكنها كانت اضعف من ان تقدر على ذلك. تأمل وجهها الحزين وهو يفحص يدها، فأحست بالنار تشتعل في كافة انحاء جسمها. وعندما التقت نظراتها، حدق بها طويلاً ثم راح يردد اسمها همساً... قبل ان يضمها الى صدره.

ارتعشت باستسلام، فيما كانت مقاومتها الضعيفة تنهار بسرعة لم تكن تتوقعها من قبل. طوقت عنقه بذراعيها... وذابت. تململت بانزعاج عندما رفع رأسه، حاول عقلها صد عواطفها واحاسيسها

عن التجاوب مع عناقه، ولكنها كانت تعلم انها له . . . يفعل بها ما يشاء. تمتم بصوت اجش:

- اوه، جيني، جيني! اريدك، اوه كم اريدك!

تسمرت بين يده، وتوترت اعصابها بشكل مذهل. قال لها قلبها انها سخيفة غبية . . . تصورت في لحظة جنون انه يحبها! طالبها قلبها بالتوقف فوراً عن مبادلته عناقه . . . فهو خطيب اختها! حاولت ابعاده عنها صارخة:

- لوغان، توقف، ارجوك! دعني، اتركني!

لم يتركها، بل عاد يعانقها وهو يقول لها بصوت ناعم ورقيق:

- لا تحاربيني، يا جيني غلين.

ضربته على صدره لتتحرر من قبضته القوية. وعندما فشلت في تحقيق ذلك، انهمرت الدموع الحارة من عينيها. امسك بيديها، ثم قال لها عاقد الجبين:

- ماذا دهاك؟ ماذا فعلت معك؟

كانت دموع الذل والهوان تبلل وجنتيها، والغضب العارم يعصف بقلبها ومشاعرها. صرخت به:

- قلت لك اتركني! اتكرني ايها الوحش، ايها المخادع!

سألها بحدة وبصوت حاد:

- ماذا حل بك؟ هل جننت؟

- لا، بل عدت الى صوابي.

تمكنت جنيفر في تلك اللحظة من تحرير يديها من قبضته، وابتعدت عنه. وعندما هم بالاقتراب منها، صرخت به قائلة بغضب هادر:

- اياك ان تلمسني! اياك ان تلمسني مرة اخرى!

تراجعت نحو الحائط، ولكنه اقترب منها وقال لها بلهجة عنيفة:

- سألمسك عندما يحلو لي ذلك، وفي اي وقت اريد!
غاص قلبها من مكانه لما امسك بقميص نومها... وجذبها نحوه. سمعت صوت تمزق، فيما راح يضمها بعنف وكأنه يعاقبها ويحط من قدرها. غرزت اظافرها في كتفيه بوحشية مماثلة، فتخضبت اصابعها بدمائه. لم يشعر بالألم... لم ينتبه الى ما حدث. كان مصمماً عليها، قبلت بذلك ام رفضت. امتزج حبها بالكراهية والحقد... وعندما شعرت بان قواها اصبحت على وشك الانهيار، ابعدها عنه باحتقار وقال بصوت خافت:
- هيا، اخرجي من هنا!
دخلت شيلا غرفة النوم، مستعينة بعكازتين، وصرخت باختها عندما شاهدتها تضع حاجياتها في حقيبتها:
- جنيفر! ماذا تفعلين؟
اجابتها بهدوء وبرودة:
- تماماً كما ترين. انا ذاهبة.
- ذاهبة؟ ماذا تعنين؟ الى اين؟ كيف؟
- كيف؟ لدي رجلان تحملاني وحقيبتي الى الخارج. ثم انتقل بالسيارة الى المطار، واستقل اول طائرة متجهة الى مينابوليس.
شهقت شيلا بهلع واضح، ثم سألتها بصوت مرتجف:
- هل يعرف لوغان بهذا الأمر؟
لا، لم تعد تدين له بأي شيء بعد حادثة امس. قالت لاختها بسخرية:
- لا، يمكنك ابلاغه بنفسك اذا كنت راغبة بذلك. انا لست بحاجة للحصول منه على اذن مسبق لمغادرتي هذه المزرعة.
سمعت طرقة على الباب، فقالت لاختها المذهولة:
- هناك شخص يدق الباب، يا شيلا. اذهبي ودعيني انهي عملي.

مرت لحظات قصيرة ظهر على اثرها ديرك هاملتون على باب الغرفة، وسألها:

- ماذا في الأمر، يا جيني؟

اقفلت حقيبتها بعصبية، ثم نظرت اليه بتحد وعنفوان قائلة:

- راحلة، راحلة. هذا كل ما في الأمر. هل ستحاول انت ايضاً منعي من السفر؟

اقترب منها ببطء وسألها بهدوء:

- هل هذا حقاً ما تريدين القيام به؟

ارتجف جسمها بطريقة لم تخف على احد، ثم اجابته بصوت هامس:

- نعم. نعم.

- سأوصلك اذن الى المطار.

تدخلت شيلا صارخة بأسى:

- ديرك! جنيفر! لا يمكنك الذهاب هكذا، يا اختي! ماذا ستفعلين بثيابك الاخرى، وبقية اغراضك في جاكسون؟

ارتدت جنيفر معطفها واعطت الحقيبة لديرك، ثم قالت:

- اشحنيها لي عندما يسمح لك وقتك بذلك.

استدارت نحو اختها وقبلتها على وجنتيها، قبل ان تمضي الى القول:

- سأكتب لك في اقرب وقت ممكن، واطلعك على كل شيء.

خرجت وراء ديرك وهي تتجاهل قدر الامكان سماع احتجاجات اختها المتواصلة والمتلاحقة. شعرت بالامتنان لأن ديرك تفهم عدم رغبتها في الكلام، وادرك انها لن تتمكن من الكلام خشية الانهيار.

تذكرت الليلة السابقة وارتياحها لعدم اكتشاف لوغان انها تحبه وتهواه. اللعين! لم يقل انه يحبها او يحتاج اليها... قال انه

يريدها . . . وكأنها امرأة وضيعة يحقق معها مآربه ثم ينساها. احبته حباً عميقاً، ولكن ليس الى درجة السماح له باستغلالها على هذا النحو.

ـ لماذا اساء التصرف معك؟

نظرت جنيفر بدهشة واستغراب بالغين الى ديرك، الذي كانت قد نسيت وجوده معظم هذه المسافة الطويلة. لم تجبه فصارحها، بالقول:

ـ شاهدت الرضوض على ذراعك، فلا بأس اطلاقاً باطلاعي عما حدث.

ابعدت وجهها عنه وقالت:

ـ ارجوك، يا ديرك، لا اريد التحدث عن هذا الموضوع.

ـ لا تحاولي اخفاء حقيقة حبك للوغان. تذكري انني مررت بتجربة مماثلة مع شيلا.

ـ انت على خطأ، يا ديرك.

ـ اذا كنت عى خطأ، فلماذا تهربين؟

هزت كتفيها وقلبت شفتها، ثم قالت:

ـ سوف تهزأ بي وتعتبرني انسانة سخيفة للغاية.

ـ سأستمع اليك بكل جدية واخلاص.

ـ عانقني لوغان، فغضبت. اغضبه تصرفي، وكان قاسياً بعض الشيء عندما امسك ذراعي. ارجوك، لا تخبر شيلا بهذا الأمر.

قطب ديرك جبينه وسألها باستغراب واضح:

ـ شيلا؟ وماذا يهم لو عرفت شيلا بهذا الموضوع؟

ـ قد تتكون لديها فكرة خاطئة. انت تعرف جيداً ان لوغان وشيلا مخطوبان، وانا اعرف انها ابلغتك ذلك بعد ظهر امس.

تنهد ديرك بقوة، قبل ان يوقف سيارته امام مدخل مبنى المطار، ثم

سألها:

- وكيف تعرفين بربك انهما مخطوبان؟

ردت عليه بعصبية:

- لي عينان وأذنان. ثم... ثم رأيت لوغان يبتاع ذلك الخاتم الثمين، وسمعت شيلا تقول له امس انك تقبلت النبأ برحابة صدر.

- هل شاهدت لوغان يشتري خاتم خطوبة؟

اجابته بحدة:

- نعم. هل تظن انني لا افهم هذه المسائل.

قال لها بشيء من الخبث الواضح:

- لا، لم اقصد ذلك. ها نحن الآن امام مبنى المطار، فهل تريدين السفر ام لا؟

ادهشتها حدته المفاجئة فقالت:

- طبعاً، طبعاً.

ابتسم لها بعطف وحنان، وقال:

- لا اعتقد ان اياً منا يريد وداعاً حاراً. وعليه، فإن لم تكوني بحاجة لأي مساعدة في حمل حقائبك... فسوف اقول لك منذ الآن... الى اللقاء.

- لا بأس بذلك اطلاقاً.

لم تكن متأكدة مما اذا كانت حقاً راغبة في الابتعاد عن لوغان. اقتربت من ديرك وقبلته على خده، قائلة:

- اتمنى لك النجاح والسعادة في كل شيء يا ديرك.

- شكراً، يا جيني، وانا اتمنى لك الشيء ذاته... واكثر.

لوحت له بشجاعة فيما كانت سيارته تنطلق بعيداً عن مبنى المطار، ثم توجهت نحو مكتب الاستعلامات لتسأل عن موعد الرحلة. قيل لها ان الطائرة الوحيدة في ذلك اليوم لن تقلع قبل الساعة الرابعة.

خمس ساعات من الانتظار! لماذا لم تسأل قبلاً عن مواعيد الاقلاع؟ اللعنة! رفعت رأسها قليلاً لتسأل الموظفة عن . . . وشاهدت لوغان.
قال لها باشمئزاز:

- لم يستغرق فرارك وقتاً طويلاً، اليس كذلك.

ابعدت وجهها عنه، واجابته بمرارة:

- يبدو انني تأخرت، والا لما كنت وجدتني هنا.

- ارسلت شيلا احد عمال المزرعة لاحضاري الى البيت. كما اتصل بي ديرك وابلغني قصة غريبة مستهجنة عن الخطوبة المنتظرة. هل ترغبين الآن في اطلاعي على فحوى هذه الافكار، السخيفة وشرحها لي؟

- اشرحها لك؟ رباه، هل هناك اشياء تتطلب الشرح! اعرف انك لم تعطها الخاتم بعد. لم اره هذا الصباح على الأقل يزين اصبعها، ولكني اعلم انك ستتزوجها.

حدق بها بعصبية وحنق شديدين، ثم لمعت عيناه ببريق خاص وقال:

- انا لن اتزوج شيلا، يا جيني غلين.

هل يكذب؟ هل يخادع؟ ماذا يرمي من جملته هذه؟ ماذا يفعل؟ لماذا يخرج علبة الخاتم المخملية السوداء ويعطيها اياها؟

بدت الحيرة واضحة تماماً في عينيها، وهي تنظر اليه بدهشة غريبة. فتحت العلبة بتردد، وبيدين مرتجفتين. تأملت الخاتم الرائع بذهول ما بعده ذهول، وقالت له عندما استعاد العلبة منها:

- لا افهم.

ابتسم، وقال لها بشيء من تهكمه الجارح:

- الموضوع في غاية البساطة، يا جيني غلين. فأختك ستتزوج ديرك، وكنا نعرف حتمية ذلك منذ البداية.

- ولكنَ. . . ولكنَ سمعت الموظف في محل بيع المجوهرات يقول انه خاتم خطوبة.

- صحيح.

غطت جنيفر فمها بسرعة كيلا تصرخ فيما كان عقلها يسجل بعض الاستنتاجات التي لا يمكن تحقيقها. هزت رأسها بتأثر، وقالت:

- سمعت شيلا تقول لك امس ان ديرك تقبل الخبر بطيبة خاطر.

ابتسم لوغان مرة اخرى، وقال لها بلهجة عادية هادئة خلت من الخبث والسخرية:

- طالبته بالا تترك عملها في الفندق، حتى يتمكنا على الأقل من الوقوف على اقدامهما بالنسبة الى الأوضاع المالية.

ثم غمزها بعينين ضاحكتين، وسألها مداعباً:

- الا تريدين معرفة صاحبة هذا الخاتم؟

- انه. . . انه. . .

- يشبه قلادتك.

- لمن ستهدي هذا الخاتم، يا لوغان.

- يتبع الرجال في عائلة تايلور تقليداً قديماً، يقضي باهداء زوجة المستقبل خاتماً من الماس. الم تلاحظي خاتم والدتي؟ كانت امي ، حتى فترة الاعياد، تظن ان القلادة هي هديتي لشيلا. انظري الى الكلمات التي طلبت حفرها داخل الخاتم.

اخذت الخاتم منه وقرأت جملة باللاتينية، ثم سألته بحذر عن معناها. قال لها:

- هذا هو شعار ولاية وايومينغ، ومعناه انه يتحتم على السلاح الرضوخ للعلم. اما بالنسبة الينا، فاعتقد مخلصاً انك انت التي يجب ان ترضخي، وتتوقفي عن تعذيبي.

شهقت ، وقالت له بتلعثم:
- هل اعتبر. . . هذا الكلام. . . عرضاً جدياً. . . للزواج؟ ارجوك، يا لوغان، لم اعد اتحمل النكات والاستهزاء.
وضع يديه على كتفيها برقة ونعومة وكأنه يخاف عليهما من الاحتراق نتيجة ملامستهما جسمها، وقال:
- اطلب منك الاعتراف بصورة نهائية بانك تحبينني. اريد سماع ذلك منك.
همست بصوت مرتعش:
- احبك، يا لوغان. احبك حتى الجنون.
ابتسم بارتياح ظاهر، ثم ضمها بقوة الى صدره وقال:
- تأكدت من ذلك ليلة امس. ماذا دهاك البارحة؟ ففي البداية، تصورت من طريقتك في معانقتي بانك تقدمين قلبك على طبق من فضة. وفي اللحظة التالية كنت تبصقين في وجهي وتغرزين اظافرك بكتفي كقطة شرسة.
احمرت وجنتاها، فأخفت وجهها في صدره حياء وخجلاً وقالت:
- اعتقدت . . . اعتقدت انك لا تريدني الا لأجل اللهو. قلت انك تريدني. . . ولم تقل انك تحبني.
انهمرت الدموع الحارة من عينيها، فأمسك برأسها وراح يجفف خديها المبللين بفمه قائلاً:
- يا لك من شابة غبية! طبعاً اريدك، ولكن ذلك نتيجة حب جارف. اريدك لانني عشقتك واحببتك منذ اللحظة الأولى لنزولك من الطائرة ودخولك الى قلبي. ولكنك اقمت جداراً عالياً جداً بيننا، فتصورت اني لن استطيع تجاوزه او تخطيه. ولكن معانقتك الآن، يا حبيبتي، تمحو جميع الآلام التي شعرت بها.
- اوه، لوغان! كنت فعلاً غبية وسخيفة. لم افكر بك منذ البدء الا

كشاب ماجن. انتبهت في وقت لاحق الى انك لست كذلك، ولكنني اصبحت عندئذ متأكدة من انك تحب شيلا.

قبلها بمحبة وحنان فائقين، وقال:

- لم احب احداً غيرك، يا فتاتي الغبية ذات الشعر الأحمر... يا حبيبتي جيني، يا جيني غلين تايلور. الن يصبح اسمك هكذا في المستقبل القريب، باذن الله؟

نظرت اليه بشغف وهيام، ثم رفعت رأسها نحوه بحب:

- القريب جداً، جداً.

روائع الأدب الرومانسي

الضائعون
صرخة البرارى
دليلي
دخان
الثأر
وفازت
خذ الحب واذهب
اللؤلؤة
لا تقولى لا
المجهول
بين السكون والعاصفة
رمال فى الأصابع
الشريدة
شاطئ العناق
ذهبى الشعر
تعالى إلى الأدغال
الفخ
فى قبضة الأقدار
دليلة
القيد
الماس اذا التهب

الحمقاء الصغيرة
حائرة
نهر الذكريات
نبع الحنان
اليخت
إثنان على الطريق
سيد الرعاة
غفرت لك
عنيد
صعب المنال
أين المفر
القرصان
اللمسات الحالمة
لحظات الجمر
النجمة والجليد
توأم التنين .
البحار الساحر
جرح الغزالة
لن ترف الجفون
الشمس والظلال
أنين الساقية
شريك العمر

سمعاً وطاعة
أيام معها
صحراء الثلج
الأغنية المتوحشة
بانتظار الكلام
يدان ترتجفان
ممر الشوق
المفاجأة المذهلة
أسوار وأسرار
الإرث الآسر
عروس السراب
الحد الفاصل
الحصن المرصود
كالسحر
تناديه سيدي
أعدني إلى أحلامي
المنبوذة
الخطاف
الوعد المكسور
السجينة
الخلاص
هديتي

روائع الأدب الرومانسي

وجه فى الذاكرة	اللغز	على حصان الفجر
لن أطلب الرحمة	بينى وبينك خفايا	فرس الريح
كفى خداعا	الفجر فى الغسق	قريبا يا ملاكي
فى مجاهل الرغبة	المرفأ الأخير	لعبة بين يدية
وجوه الغيرة	ضوء آخر النفق	زائرة
إذا كان له قلب	فى ظل العملاق	السهم يرتد
كيف ينتهى الحلم	خاتم الأنتقام	أتيت من بعيد
حقيبة الجراح	حب فى الظلام	كوخه قرب قصرنا
إمرأة بلا مخالب	جزيرة آدم	حارس القلعة
إمرأة لكل الفصول	بدر الأندلس	أتى ليبقى
مرة فى العمر	★ ★ ★ ★ ★	إبتسامة وحيدة